مجلة الوفاق

AL-WEFAQ MAGAZINE

الإنمائي الدولي للعلوم الإنسانية

International Development Institute for the Humanities

مجلة محكمة نصف سنوية تصدر عن مركز الوفاق الإنمائي الدولي
العدد العاشر-يونيو-السنة الخامسة 1446هـ الموافق 2025

في هذا العدد

خصائص البحث في الاتصال الدعوي في البيئة الرقمية دراسة تحليلية
Characteristics of Research in Da'wah Communication in the Digital Environment: An Analytical Study

إشكاليات التجديد في البحث الفقهي وآليات حلها
Problems of Renewal in Fiqh Research and Mechanisms for Solving Them

WEFAQ INTERNATIONAL DEVELOPMENT CENTER
SDN.BHD (1155980)
www.wefaqdev.net

التكامل المعرفي بين الدراسات القرآنية والحديثية وباقي العلوم

د/ هند أكني

الملخص:

إن الدراسات القرآنية والسنية من أشرف العلوم لتعلقهما بالوحي الشريف ولتضمنهما قيم الدين الإسلامي الصحيحة، واستيعابهما الطريق السوي الذي يضمن النجاة والسعادة في الدارين، وقد حث الإسلام على العلم في كل مجالات الحياة ولم يميز مجالا عن آخر بما أنه يعمل على إفادة الناس وتحقيق مصالحهم، وقد أثبتت الدراسة أن العلم لا قيمة له إذا لم يفعل، ولم يتماشى مع مصالح الناس، ولم يكن طرفا في تحقيق الخلافة في الأرض، كما انتهت الدراسة إلى أن العلوم المتعلقة بالوحي لا تكون فاعلة، ولا يتحقق المراد منها إلا إذا تكاملت مع بقية العلوم العملية المسيرة لحياة البشر.

Abstract:

Qur'anic and Sunnah-based studies are among the most honorable sciences due to their association with divine revelation and their classification as foundational pillars of the Islamic religion. These sciences are esteemed for guiding individuals toward the righteous path that ensures success and happiness in both worlds. Islam has emphasized the pursuit of knowledge in all aspects of life, as it serves to benefit humanity and realize their interests.

The study has demonstrated that knowledge holds no intrinsic value unless it functions to benefit people and fulfill their interests. Neither party-those concerned with worldly matters nor those focused on divine revelation-can achieve the intended purpose of knowledge unless it is integrated with the other. Moreover, the study concludes that knowledge related solely to revelation is ineffective and fails to accomplish its intended goals unless it is

complemented by the other practical sciences that contribute to a complete and righteous way of life.

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد الله و رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين

إن العلوم الإسلامية هي أشرف العلوم على الإطلاق، وذلك لأنها تنبني أساسا على الوحي الشريف بقسميه؛ فهي التي تعنى بتفسيره وإيصال معانيه للناس، ومن ثم تحقيق الخلافة في الأرض على الوجه الذي يريده الله تعالى، وهذا ما يظهر العلاقة الوطيدة بين العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية والاجتماعية؛ فالإسلام دين شامل لكل مجالات الحياة وهذا يقتضي أن تكون علومه شاملة لكل هذه المجالات ما تعلق منها بالجانب المادي أو المعنوي.

ومن هنا يمكن طرح الإشكالية الآتية : ما هي حدود الخصوصية ومتطلبات التكامل بين الدراسات المتعلقة بالكتاب والسنة والعلوم الأخرى : الشرعية و الإنسانية والاجتماعية من منظور الوحي؟

وأريد من خلال هذا الملتقى عرض ورقة علمية متعلقة بالمحور الأول الموسوم ب: ماهية العلوم الإسلامية والاجتماعية والإنسانية، وقد عنونت المداخلة ب: الدراسات القرآنية، والحديثية وعلاقتهما التكاملية مع بقية العلوم.

وتكن أهمية هذا الموضوع في أنه يعالج موضوعا واقعيا بالغ الأهمية، فلا يخفى على أحد مدى أهمية هذين العلمين لإعادة النهوض بالأمة الإسلامية وشهودها الحضاري باعتبارهما الممثلين الرئيسين للوحي الشريف وعزل الدراسات القرآنية والسنية عن بقية المجالات العلمية يؤدي إلى إعاقتهما، وإبعادهما عن معترك الحياة، ولن تكون بهذه الحيثية - أقصد العزل إلا علوما صورية، شكلية بعيدة عن واقع الناس بخلاف ما إذا تكاملت وتزاوجت مع بقية العلوم بمختلف مجالاتها.

وقد تكونت المداخلة من العناصر الآتية:
مقدمة
مكانة العلم في الإسلام
مميزات العلم من منظور الكتاب والسنة
التكامل بين الدراسات القرآنية والحديثية وبقية العلوم
نماذج تطبيقية في تكاملية هذين العلمين مع العلوم الأخرى:
الخاتمة

أولا: مكانة العلم في الإسلام

إن اول ايه انزلها الله من القرآن هي إقرا وهذا دليل على اهمية العلم في الإسلام ومكانته العاليه وقد جعل الله مكانة العلماء عالية القدر وأشاد بهم حيث قال: " إنما يخشى الله من عباده العلماء" فاطر: 28.

وأعلى من شأنهم فقال: "هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" الزمر: 9.

"فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون" النحل 43.

وقال أيضا: " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير" المجادلة:11.

وقد وصف الله تعالى العلم بالحكمة فقال:

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ البقرة: 269.

وقد أفاض القرآن الكريم في طلب التفكر والتدبر من المؤمنين وغيرهم في كثير من الآيات ، وهذا يدل على المكانة العالية للعلم في الإسلام.

و روى البخاري في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم والله يعطي ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله»[1].

وروى البخاري أيضا عبد الله بن مسعود قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها"[2] . وروى البخاري أيضا في صحيحه عن ابن عباس أنه قال: ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «اللهم علمه الكتاب»[3].

[1] صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري ، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ، كتاب العلم باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين 1/25 [71].
[2] صحيح البخاري، كتاب العلم باب الاغتباط في العلم والحكمة 1/25 [73] .
[3] صحيح البخاري، كتاب العلم باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم علمه الكتاب»1/26[75].

عن عثمان رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[4]. عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : "طلب العلم فريضة على كل مسلم"[5].

عن أبي أمامة الباهلي، قال: ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان أحدهما عابد والآخر عالم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم»[6].

ثانيا: مميزات العلم من منظور الوحي

للعلم من منظور الوحي مميزات عديدة ذكر من ذلك:

الميزة الأولى: الإخلاص فيه الله تعالى

فقد أمر الله تعالى بالإخلاص في الاعمال وتوعد المرائين والمنافقين بأشد العذاب، والإخلاص في العمل من أساسيات العقيدة الإسلامية، ومن متطلبات الإيمان الصادق، فالله الكريم لا يقبل عمل المرائين، ويرده يوم القيامة عليهم قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 162]الأنعام 162.

وقال أيضا: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾هود:15- 16. وقال أيضا في حق أبي بكر الصديق إمام المخلصين، وقدوة الجميع في هذه الصفة بعد النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾ ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾الليل 19-20.

كما حذر النبي صلى الله عليه وسلم أيضا من الرياء ومن عاقبة من يطلب علما لا يخلص فيه النوايا الله ولدينه: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جائية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل قتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له كذبت، وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله: بل أردت أن يقال:

---

[4] رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب : خيركم من تعلم القرآن وعلمه، 6/192[5027].

[5] سنن ابن ماجه : ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله ، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى 1430هـ - 2009 م، أبوب السنة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، قال محقق السنن: حديث حسن بطرقه وشواهده 1/151[224].

[6] سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة ، الترمذي، أبو عيسى، ت أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي . - مصر، 1395 هـ 1975 م أبواب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب فضل طلب العلم، 5/50[2685].

إن فلانا قارئ فقد قيل ذاك، ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد ؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذاك، ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله، فيقول الله له في ماذا قتلت؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تعالى له كذبت، وتقول له الملائكة كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال: فلان جريء، فقد قيل ذاك "، ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتي فقال: «يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة»[7].

وروى أبو داود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " من تعلم علما مما يبتغي به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة" يعني ريحها"[8].

وروى الترمذي في سننه عن ابن عمر، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "من طلب العلم ليماري به السفهاء، أو ليباهي به العلماء، أو ليصرف وجوه الناس إليه، فهو في النار"[9].

وروى الترمذي أيضا عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من تعلم علما لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار»[10].

الميزة الثانية: الإصلاح في الأرض وتحقيق الخلافة

فالهدف من العلم وطلبه هو توفير الحياة الطيبة وتحقيق الرفاهية للبشر ونشر العدل والإحسان والسعادة والطمأنية في حياة الناس، وهذا ما يسمى- حسب المصطلح القرآني- بالخلافة في الأرض، وعمارتها على الوجه الذي أمر به الله تعالى.

قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ

---

[7] سنن الترمذي: باب ما جاء في الرياء والسمعة، قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب» 4/591.

[8] سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، ت: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، 1430هـ - 2009م أول كتاب العلم، باب في طلب العلم لغير الله عز وجل قال محقق السنن: حديث صحيح لغيره، أبوب السنة 1/169 [252].

[9] سنن ابن ماجه أبوب السنة قال محقق السنن: حسن لغيره إن شاء الله، 1/170 [253] سنن الترمذي أبواب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا، قال الترمذي: «هذا حديث غريب لا تعرفه إلا من هذا الوجه، وإسحاق بن يحيى بن طلحة ليس بذاك القوي عندهم، تكلم فيه من قبل حفظه» 5/32_33 [2654].

[10] رواه الترمذي في السنن أبواب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: «هذا حديث حسن غريب لا تعرفه من حديث أيوب إلا من هذا الوجه» 5/33 [2655].

الْحَكِيمُ﴾ ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾البقرة 30-33.

وقال أيضا: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران: 104.

وقال أيضا في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الأنعام: 165.

ولا تمكين في الأرض ولا خلافة إلا بالتمكن من أسباب القوة، وأعظم سبب من أسباب القوة هو العلم المقرون بالإيمان، فقد قال الله تعالى على لسان نبيه يوسف عليه السلام، في سورة يوسف ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ يوسف: 37.

وقد كان هذا العلم النابع من الإيمان بالله تعالى هو الذي جعل سيدنا يوسف عليه السلام يتمكن من تمثيل الخلافة في الأرض بالوجه الأمثل حيث قال كما جاء في القرآن الكريم: "قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم"

وجاءت السنة النبوية الشريفة وبينت أن العلم النافع هو الذي يعمل به ويطبق على أرض الواقع وتتمثل فائدته في جانب من جوانب الحياة، وهذا تحقيقا للهدف المراد من الوجود الإنساني وهو الخلافة في الأرض

روى البخاري في صحيحه عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكان منها نقية قبلت الماء، فأنبتت الكلا والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب، أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[11].

وروى النسائي في سننه عن أبي هريرة أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " اللهم إني أعوذ بك من الأربع من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعاء لا يسمع "[12].

ولأن العلم هو السبيل الأمثل في تحقيق الخلافة، فقد كانت مرتبة العلماء أعلى من مرتبة العباد والنساك، بل رفعت مرتبتهم فكانوا ورثة للأنبياء كما جاء في نص الحديث

[11] رواه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب فضل من علم وعلم [79] 1/27.
[12]

الذي رواه أبو داود: أن النبي- صلى الله عليه وسلم - قال: "من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله عز وجل به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر[13].

<u>الميزة الثالثة: العلم سبيل لنيل رضا الله في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة</u>

فالإنسان مسؤول عن أعماله في الدنيا ويحاسب عليها يوم القيامة قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ الكهف 49.

وقال أيضا: " ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ 8-9 الزلزلة.

عن أبي برزة الأسلمي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»[14].

وطلب العلم سبيل للجنة:

فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما، سهل الله له به طريقا إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت ، الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه»[15].

<u>الميزة الرابعة شمولية المجالات:</u>

فلا بد أن يكون طلب العلم في شتى المجالات التي تتحقق بها خلافة الإنسان في الارض، ولا يقتصر على العلم في مجال واحد، فالإنسان جسد وروح، ولهذا لا بد أن

[13]

[14] رواه الترمذي في السنن أبواب الأحكام والفوائد، باب في القيامة، وقال: " هذا حديث حسن صحيح 4/612[2417]

[15] المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، كتاب العلم، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر2074/4 [2699].

تكون العلوم تتناول ما يخدم هذين الشقين على حد سواء، قال الله تعالى في سورة الأنعام: "ما فرطنا في الكتاب من شيء"

وقد جاء حديث القرآن شاملا لكل ما يحتاجه البشر من وجوه الهداية والإصلاح، وكذلك السنة النبوية لم يترك فيها النبي صلى الله عليه وسلم مجالا من مجالات الحياة إلا وتناوله في سنته القولية أو الفعلية أو التقريرية بالبيان والتفصيل سواء كان ذلك في مجال العقائد والأخلاق، أو العبادات، أو المعاملات، أو التربية أو القضاء والفصل في النزاعات وتنظيم المجتمعات، أو حتى العلاقات الدولية....

ومن الأحاديث الدالة على انفتاح النبي صلى الله عليه وسلم على العلوم طلبه صلى الله عليه وسلم من الصحابة تعلم اللغات لأمن مكر العدو قال زيد بن ثابت: أمرني رسول الله - صلى الله عليه وسلم فتعلمت له كتاب يهود، وقال: "إني والله ما آمن يهود على كتابي" فتعلمته، فلم يمر بي إلا نصف شهر حتى حذقته، فكنت أكتب له إذا كتب، وأقرأ له إذا كتب إليه [16].

الميزة الخامسة: الحكمة ضالة المومن:

فالعلم من منظور الشرع ليس حكرا على قوم دون قوم أو فئة دون الأخرى، فطالب العلم لا بد أن يجتهد ويسعى ليصل إلى الحقائق ليفيد بها المجتمع الإنساني أيا كان مصدر هذا العلم

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك، قال: كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتابا - أو أراد أن يكتب - فقيل له: إنهم لا يقرءون كتابا إلا مختوما، فاتخذ خاتما من فضة، نقشه: محمد رسول الله، كأني أنظر إلى بياضه في يده فقلت لقتادة من قال: نقشه محمد رسول الله ؟ قال أنس[17].

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها»[18].

الميزة السادسة: النشر وتعميم الفائدة

فقد روى البخاري في صحيحه عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أي يوم هذا»، فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه سوى اسمه، قال: «أليس يوم النحر» قلنا: بلى، قال: «فأي شهر هذا فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: «أليس بذي الحجة» قلنا: بلى، قال: «فإن دماءكم وأموالكم ، وأعراضكم

[16] سنن أبي داود، أول كتاب العلم، باب رواية حديث أهل الكتاب، قال محقق السنن صحيح، 5/489 [3645].
[17] رواه البخاري في صحيحه، باب ما يذكر في المناولة، وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان [65] 1/24.
[18] سنن الترمذي، أبواب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة [2687] «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإبراهيم بن الفضل المخزومي يضعف في الحديث من قبل حفظه».

بينكم ،حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا ليبلغ الشاهد الغائب، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى له منه»[19].

وذكر البخاري في تراجمه فقال: وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا»[20].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من سئل عن علم، فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة"[21].

عن زيد بن ثابت قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول: "نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه "[22].

عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار» [23].

الميزة السابعة: طلب العلم من الفروض العينية:

فطلب العلم أمر موجه لجميع الفئات وكل المستويات فالتعليم للجميع، والتخصص للمتميزين، فالله تعالى لم يخلق الناس على مرتبة واحدة ولم يجعل مستوياتهم الفكرية وقدراتهم العقلية في الفهم والاستنباط والقدرة على التحليل واحدة، وقد جاء بيان ذلك مفصلا في قوله تعالى في سورة التوبة : ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ التوبة: 122.

وقال عز وجل في سورة العنكبوت: " ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ العنكبوت: 43، وقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ آل عمران 7.

---

[19] رواه البخاري في صحيحه باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: رب مبلغ أوعى من سامع» 1/24[67] .

[20] باب: كيف يقبض العلم 1/32

[21] سنن أبي داود أول كتاب العلم، باب كراهية منع العلم، قال محقق السنن: " إسناده . صحيح500/5[3658] سنن الترمذي، أبواب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في كتمان العلم، قال الإمام الترمذي: وفي الباب عن جابر، وعبد الله بن عمرو : حديث أبي هريرة حديث حسن» 5/29 [2649].

[22] سنن أبي داود أول كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، قال محقق السنن: إسناده صحيح501/5[3660].

[23] سنن الترمذي، أبواب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل [2669] «وهذا حديث حسن صحيح» 40/5.

عن علي رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له [24] وهذا دليل على اختلاف قدرات الناس.

أما العلم الأولي الذي لا يعذر الجاهل بجهله، والعلوم الأساسية التي تستقيم بها حياة الناس فلا فرق فيه في منظور الشرع بين كبير وصغير ولا رجل ولا امرأة ولا بين عبد مملوك وسيد عن أبي بردة، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب، آمن بنبيه وأمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديها وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها فله أجران "[25].

وعن أبي سعيد قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوما نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله، فقال: «اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا ، فاجتمعن فأتاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلمهن مما علمه الله، ثم قال: «ما منكن امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة، إلا كان لها حجابا من النار»، فقالت امرأة منهن يا رسول الله، أو اثنين؟ قال: فأعادتها مرتين، ثم قال: «واثنين واثنين واثنين»[26].

وذكر البخاري في تراجمه وقال عمر: «تفقهوا قبل أن تسودوا قال أبو عبد الله: «وبعد أن تسودوا وقد تعلم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في كبر سنهم»[27].

ثالثا: التكامل بين الدراسات القرآنية والسنية وبقية العلوم

فمن خلال ما سبق من تقديم ببيان مكانة العلم ومميزاته وخصاصه نصل إلى نتيجة حتمية وهي أن الإسلام في جملته يدعو إلى بناء الحضارة وتحقيق العدالة والرفاهية في حياة الناس في العاجلة والآجلة فهو يحث على طلب العمل في شتى المجالات التي تنفع الناس: الجانب الروحي المتمثل في العقائد والأخلاق وجانب العبادات والمعاملات، وما يصلح به حالهم في الدنيا في مختلف الشؤون: كالعلوم الإنسانية والاجتماعية والمادية ولا فرق بين علم وآخر بما أن كل واحد من هذه

العلوم يخدم الإنسان ويساهم في بناء حضارته ورقيه.

فكل تخصص له مجال يعنى به ويتمايز به عن غيره.

[24] رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب {فسنيسره للعسرى} الليل: 6،10/171[4949].
[25] رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب تعليم الرجل أمته وأهله 1/31 [97].
[26] رواه البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب تعليم النبي صلى الله عليه وسلم أمته من الرجال والنساء مما علمه الله، ليس برأي ولا تمثيل 9/101] 7310[.
[27] صحيح البخاري 1/25.

ومع هذا فالعلوم كلها تتكامل مع بعضها البعض وتخدم بعضها البعض لتخرج لنا في الأخير حضارة راقية تفيد الإنسانية جمعاء.

وسنذكر نوعين من العلوم الشرعية وهي الدراسات المتعلقة بالكتاب والسنة وكيف يمكن لهذين العلمين أن يتكاملا مع بقية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الشرعية الأخرى.

أولا: التعريف بالعلوم القرآنية والحديثية:

العلوم القرآنية: هي العلوم التي يشتعل فيه الباحثون بالقرآن الكريم من حيث رسمه وضبطه، ومن حيث فهمه[28].

العلوم الحديثية: هي العلوم التي يشتغل فيها الباحثون بحديث النبي صلى الله عليه وسلم من حيث ثبوته، ومن حيث فهمه، فمن حيث ثبوته يتناول فيه الباحثون مسائل التصحيح والتضعيف ودراسة العلل في الأسانيد، أما من فهمه فيتناول فيه الباحثون الدراسات المتعلقة بمختلف الحديث وغريبه، وناسخه ومنسوخه وفهم مقاصده ومراميه، وهو ما يسمى في مصطلح أهل الحديث بعلم الحديث دراية[29].

ثانيا: فضل الاشتغال بعلوم الوحي:

ورد في فضل الاشتغال بعلوم القرآن والسنة العديد من الأحاديث، نذكر من ذلك:

- عن عثمان بن عفان، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه[30].

- عن أبي موسى الأشعري، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، طعمها طيب، ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، طعمها مر ، ولا ريح لها"[31].

---

[28] أنظر: الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي،ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ / 1974م 18/1.

[29] وعلم الحديث الخاص بالدراية علم يعرف منه حقيقة الرواية وشروطها وأنواعها، وأحكامها، وحال الرواة، وشروطهم، وأصناف المرويات وما يتعلق بها. وقال الشيخ عز الدين بن جماعة: علم الحديث: علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن.
وموضوعه: السند والمتن، وغايته معرفة الصحيح من غيره. وقال شيخ الإسلام أبو الفضل بن حجر: "أولى التعاريف له أن يقال: معرفة القواعد والمعرفة بحال الراوي والمروي". عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي: تدريب الراوي في شرح تقريب النووي ت: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة 1/26

[30] سبق تخريجه.

[31] رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل القرآن على سائر الكلام 190/6[5020].

- عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إن الله أهلين من الناس. قالوا: يا رسول الله، من هم؟ قال: "هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته"[32].

ثالثا: لا فضل لهذين العلمين إذا تجردا من خاصيتي النفعية والواقعية

إن قداسة العلوم المتعلقة بالكتاب والسنة، وأفضليتها لا تكون إلا إذا كان هذا العلم مرتبطا بواقع للناس، فلا بد أن تكون الدراسة فيهما نافعة وتعود بالخير على الأفراد والمجتمعات الإسلامية والإنسانية، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾الرعد: 17.

وقد استعاد النبي صلى الله عليه وسلم من العلم الصوري الشكلي الذي لا يحقق فائدة ولا يخدم مصلحة، ولا يلبي حاجة ولا يتماشى مع متطلبات الحياة:

- فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان من دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم -: "اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن دعاء لا يسمع، ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع"[33].

- وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "خير ما يخلف الرجل من بعده ثلاث: ولد صالح يدعو له، وصدقة تجري يبلغه أجرها، وعلم يعمل به بعده " [34].

ولكي يكون نافعا لا بد أن يكون واقعيا يعالج مشاكل يعيشها الناس:

فالإسلام دين الواقعية ويحارب المثاليات الخرافية البعيدة عن حياة البشر، ولذا لا بد أن تكون

الدراسات في العلوم الإسلامية بشكل عام والمتخصصة بالدراسات القرآنية والحديثية بشكل خاص تتسم بالواقعية وتعالج ما يعيشه الناس من قضايا وإشكالات بصورة عملية ملموسة، ولهذا كان جل الخطاب القرآني المكي يتجه إلى جانب العقائد والأخلاق، ولم يأت الخطاب التشريعي إلا بعد الهجرة حيث تمكن الإيمان من النفوس واستقرت العقيدة في قلوبهم، وقد كان نهج النبي صلى الله عليه وسلم طوال سيرته العطرة يخاطب الناس ويعاملهم على قدر عقولهم و تفكيرهم وقد قال صلى الله عليه وسلم كما روت عنه عائشة رضى اله عنها: لولا أن قومك حديثوا عهد بشرك، لهدمت

[32] رواه ابن ماجه سنن ابن ماجه، أبوب السنة، قال محقق السنن: "إسناده حسن 146/1[215].
[33] سنن ابن ماجه: أبواب السنة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، قال محقق السنين الشيخ شعيب الأرنؤوط: "صحيح لغيره، 1/168.
[34] سنن ابن ماجه، أبوب السنة، قال محقق السنن: "إسناده صحيح " 162/1.

الكعبة، فألزقتها بالأرض، وجعلت لها بابين بابا شرقيا، وبابا غربيا وزدت فيها ستة أذرع من الحجر، فإن قريشا اقتصرتها حيث بنت الكعبة»[35].

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحديث الذي لا فائدة فيه فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثا[36].

قال ابن الأثير: "المتنطعون هم المتعمقون المغالون في الكلام المتكلمون بأقصى حلوقهم، مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى من الفم، ثم استعمل في كل تعمق قولا وفعلا"[37].

قال الدكتور سعيد فكرة: "من التنطع السؤال عما لم يكن وطرحه ومناقشته، دون أن يكون حدوثه متوقعا في القريب، ودون أن يترتب عن بحثه فائدة علمية ... فيجب أن يشتغل في بحثه بكبريات المسائل التي تعالج قضايا عصره، و ، ويؤكد هذا كراهة السلف التوسع في الحديث أو السؤال عما لم يقع "[38].

قال الإمام ابن حجر في فتح الباري في شرح ترجمة البخاري قوله) باب ما يكره من قيل وقال: "والمراد أنه نهى عن الإكثار بما لا فائدة فيه من الكلام... والحكمة في النهي عن ذلك أن الكثرة من ذلك لا يؤمن معها وقوع الخطأ .... وقيل هو أن يذكر للحادثة عن العلماء أقوالا كثيرة ثم يعمل بأحدها بغير مرجح أو يطلقها من غير تثبت ولا احتياط لبيان الراجح والنهي عن كثرة السؤال يتناول الإلحاف في الطلب والسؤال عما لا يعني السائل وقيل المراد بالنهي المسائل التي نزل فيها لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وقيل يتناول الإكثار من تفريع المسائل ونقل عن مالك أنه قال والله إني لأخشى أن يكون هذا الذي أنتم فيه من تفريع المسائل ومن ثم كره جماعة من السلف السؤال عما لم يقع لما يتضمن من التكلف في الدين والتنطع والرجم بالظن من غير ضرورة "[39].

ويقول الإمام النووي تعليقا على حديث سهل بن سعد في سؤال عاصم بن عدي النبي صلى الله عليه وسلم: "المراد كراهة المسائل التي لا يحتاج إليها "[40].

---

[35] شرح السنة محيي السنة: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، ت: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، 1403هـ - 1983م 109/7.

[36] رواه مسلم في صحيحه كتاب العلم باب هلك المتنطعون2055/4[2670] [، و سنن أبي داود:201/4[4608].

[37] النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، ت: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م 74/5.

[38] مقال: منهجية البحث في الدراسات الإسلامية وضوابطها الدكتور سعيد فكرة مجلة الاحياء، العدد الثاني كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية جامعة باتنة، الجزائر، ص: 106.

[39] فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ 306/11-307.

[40] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، 1392هـ 120/10.

وقال علي: «حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله»[41] .

وتتعذر النفعية والواقعية في العلوم المختصة بالكتاب والسنة ولا تتحقق فيما يبدو لي إلا إذا تكاملت مع التخصصات والفروع العلمية الأخرى.

فالدراسات الناجحة، والعلوم النافعة هي التي يحافظ فيها الطالب على تخصصه، وفي الوقت نفسه لا يعزل عقله عن بقية العلوم والمعارف الأخرى، فلا بد أن يربط بحثه بمختلف التخصصات العلمية، فذلك ما يجعل بحثه أكثر نفعية وواقعية، وبشكل خاص الدراسات المتعلقة بالكتاب والسنة _ لأنها في جملتها علوم نظرية، تتضمن قواعد كلية بحاجة إلى علوم أخرى مساعدة لتحويلها إلى علوم عملية فلا بد أن يكون الباحث فيهما متمكنا من العلوم الأخرى الشرعية منها والإنسانية، والاجتماعية التي تخدم بحثه ليتمكن من ربط بحثه بقضايا في الدعوة والإرشاد، أو الفقه، أو العقيدة أومقارنة الأديان أو التاريخ والحضارة، أو الاقتصاد والمعاملات المالية التربية وعلم النفس، علم الاجتماع.....

-ودليل ذلك أن موضوع الكتاب والسنة وأساس إنزالهما هو إصلاح أحوال الناس في الحال والمآل في كل مجالات الحياة، قال الإمام السيوطي في هذا الصدد: "وإن كتابنا القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها ودائرة شمسها ومطلعها أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء وأبان فيه كل هدي وغي فترى كل ذي فن منه يستمد وعليه يعتمد فالفقيه يستنبط منه الأحكام ويستخرج حكم الحلال والحرام، والنحوي يبني منه قواعد إعرابه ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه، والبياني يهتدي به إلى حسن النظام ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام، وفيه من القصص والأخبار ما يذكر أولي الأبصار ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها هذا مع فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب تبهر العقول وتسلب القلوب وإعجاز نظم لا يقدر عليه إلا علام الغيوب"[42].

وانطلاقا من هذا يتحتم بشكل إلزامي على الباحث فيهما التمكن والإحاطة بأحد هذه المجالات على الأقل، فالوحي الشريف المتمثل في الكتاب والسنة لم بنزله الله تعالى إلا لهداية البشر، ومعايشة أحواهم بالتيسير عليهم ورفع الحرج عنهم، وتحقيق السعادة والطمأنينة في حياتهم الدنيوية والأخروية، وهكذا البحث فيهما لا يقتصر فيه على استخلاص النظريات المثالية المجردة ، مع أهميتها، بل لا بد من تنزيلها - بعد استخراجها وتفعيلها وتبليغها، وإيصالها لأهلها ومستحقيها من أفراد المجتمع ، أيا من

[41] رواه البخاري في صحيح 1/37.
[42] الإتقان في علوم القرآن 1/17.

كانوا في قالب حسن وضيء مشوق مشرق يتقبله الناس ويناسب قدراتهم العقلية والإدراكية.

فتكون دراسته بهذا الشكل التكاملي ممثلة للوحي ومنزلة لهديه في حياة البشر وتكون بمثابة همزة وصل بين الوحي الشريف وحاجات الناس المتغيرة عبر الزمان والمكان.

ولا نريد من هذا أن الباحث في الكتاب والسنة يتملص من تخصصه ويتطفل على تخصص الآخرين، بل دراسته وجهده الأول وعمله يكون في الكتاب والسنة، بالإضافة إلى مجال آخر من مجالات العلوم المتنوعة، يكون على علم بمبادئها وأساسياتها الأولية، وعلى اطلاع جزئي دون غوص المتخصصين. والهدف من هذا التكامل والازدواجية بين العلوم القرآنية والحديثية وغيرهما من العلوم: هو إنجاز عملية الربط، وإيصال القنوات مع بعضها البعض، فيسهل بذلك على أهل التخصصات الأخرى الاستفادة من الدراسات المؤصلة من الكتاب والسنة.

لأنه بذلك الإلمام أو إن صح التعبير بذلك الاطلاع على العلوم الأخرى يستطيع أن يجعل دراسته الشرعية تلك، في الكتاب أو السنة موجهة إلى مجال معين يخدم فيه المجتمع في صورة ما،ويستطيع من خلال ذلك كله جعل دراسته نافعة ومرتبطة بالواقع، وخادمة للمجتمع[43].

قال رجاء وحيد دويدري في كتاب البحث العلمى أساسياته النظرية وممارسته العملية عند تناوله لعنصر: توافر الثقافة الواسعة للعلماء : "ولع الغربيون في العصور الحديثة بالتخصص الضيق حتى استخف أهله بسائر فروع المعرفة البشرية، وقد شهد القرن العشرين تحولا فجائيا أفضى إلى نوع من التقارب بين العلم التجريبي وغيره من فروع المعرفة البشرية وكان هذا بعد أن غلبت النزعة المادية على ذلك العلم، وأيد هذا التحول واضعوا المناهج العلمية، حيث طالبوا الباحثين بالوقوف على كل ما من شأنه أن يساعدهم على دراسة موضوعاتهم وفهمها على أحسن الوجوه ومن ذلك أنهم أوصوا الطبيب بأن يلم بعلوم الأحياء والكيمياء والصيدلة والنفس وغيرها، بل إن "كلود برنارد" كان يوصي العالم الطبيعي بأن يتزود بثقافة واسعة في الفلسفة والفن معا، أما عن التراث العربي، فقد اقتضت روح العصر ... أن تتهيأ للمفكر ثقافة واسعة، لأن فروع المعرفة ومنها العلم الطبيعي، كانت مذابة في الفلسفة "[44].

[43] وانظر مداخلة خاصة بيوم دراسي في جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، كلية أصول الدين القواعد المنهجية لإعداد مذكرات التخرج، عنوان المداخلة: خصائص البحث العلمي في الدراسات الإسلامية: إعداد: د/ هند أكني.
[44] - ص: 34 -35.

رابعا: نماذج تطبيقية

وفيما يلي سأذكر بعض الأمثلة لعناوين بحوث ودراسات في تخصص الكتاب والسنة وكيف يمكن إعادة صياغتها بحيثية تجعل هذه البحوث أكثر نفعا وربطا بمجتمعاتنا ومشاكلهل، وذلك من خلال تكامل هذين العلمين الشريفين مع العلوم العملية المتصلة بواقع الناس كعلوم التربية، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وكذا بعض العلوم الشرعية كالفقه والمقاصد، والدعوة، والعقيدة ...

أولا : في الدراسات القرآنية:

-الطيبون في القرآن، وقد يكون البحث أكثر نفعا إذا تكاملت فيه علوم القرآن مع الدراسات التاريخية، و يمكن أن نعيد صياغة عنوان هذه الدراسة على سبيل المثال بالشكل الآتي: الطيبون في القرآن ومدى تطابق هذه الصفة على شخصيات جزائرية على مر التاريخ، ويمكن أن تحدد الدراسة بشخصيات في فترة الثورة التحريرية على سبيل المثال، فمن المفيد جدا أن يتعرف الناس على أبطال الثورة وربط صفاتهم بالقرآن الكريم.

-تربية الأولاد في القرآن، وقد يكون البحث أكثر نفعا إذا تكاملت فيه علوم القرآن مع الدراسات المتخصصة في علوم التربية ويمكن أن يكون العنوان بالشكل الآتي: تربية الأولاد في القرآن وسبل تفعيلها في المدارس التحضيرية ودور الحضانة مثلا....

-بناء الشخصية المؤمنة في القرآن، وقد يكون البحث أكثر نفعا إذا تكاملت فيه علوم القرآن مع الدراسات المتعلقة بعلوم التربية أيضا ويمكن أن يكون العنوان بناء الشخصية المؤمنة في القرآن وسبل تفعيلها على الأطفال المتمدرسين.

-منهج الأنبياء في الحوار مع أقوامهم، وقد يكون البحث أكثر نفعا إذا تكاملت فيه علوم القرآن مع الدراسات المتعلقة بعلم النفس، فيصاغ بالشكل الآتي: منهج الأنبياء في الحوار مع أقوامهم وتطبيقاتها على الخطاب الموجه في مؤسسات إعادة التربية والتأهيل.

ثانيا: في الدراسات السنية:

-الأحاديث الواردة في المعاملات المالية - جمعا وتخريجا ودراسة ، وقد يكون البحث أكثر نفعا إذا تكاملت فيه علوم السنة مع الدراسات الفقهية و المقاصدية والاقتصادية وكان العنوان بالشكل الآتي: الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في المعاملات المالية جمعا وتخريجا ودراسة ودورها في حل بعض الإشكالات المالية المعاصرة.

-تعدد روايات الحديث النبوي الشريف وأثره في اختلاف المحدثين في الحكم على الحديث، وقد يكون البحث أكثر نفعا إذا تكاملت فيه علوم السنة مع الدراسات الفقهية

أيضا والمعاملات المالية وقد يكون العنوان بالشكل الآتي: تعدد روايات الحديث الواردة في البيوع وأثرها في اختلاف الفقهاء _ دراسة تطبيقية على مسائل في الاقتصاد الإسلامي المعاصر.

-الأحاديث الواردة في الأسماء والصفات جمعا ودراسة وتخريجا، وقد يكون البحث أكثر نفعا إذا تكاملت فيه علوم السنة مع الدراسات العقدية والاجتماعية، ويمكن أن يكون العنوان الأنسب: الأحاديث الواردة في الأسماء والصفات ودورها في درء الخلاف بين المسلمين.

-منهج النبي صلى الله عليه وسلم في التعامل مع الناشئة، وقد يكون البحث أكثر نفعا إذا تكاملت فيه علوم السنة مع الدراسات الأدبية والدعوية، ويمكن أن يكون العمل في شكل توجهات دعوية للأولياء مستوحاة من منهج النبي صلى الله عليه وسلم مناسبة لأهم المشاكل التي يعانيها الأولياء في وقتنا الحاضر مع أبنائهم.

-أو في شكل قصص أدبية شيقة موجهة للأطفال تهدف إلى ترسيخ العقائد والسلوكات الإسلامية لصحيحة اعتمادا على ما صح من منهج النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك.

-الأحاديث الواردة في المرأة جمعا ودراسة وتخريجا، وقد يكون البحث أكثر نفعا إذا تكاملت فيه علوم السنة مع الدراسات الأصولية والمقاصدية، ويمكن أن يكون العنوان: الأحاديث الواردة في المرأة - دراسة مقارنة بين ما جاء في شرحها في الكتب الستة وما تقتضيه مقاصد الشريعة الإسلامية.

-المدلولات التربوية في القصة والأمثال النبوية، وقد يكون البحث أكثر نفعا إذا تكاملت فيه علوم السنة مع الدراسات الإعلامية والدعوية ، ويمكن أن يكون العنوان المدلولات التربوية في القصة والأمثال النبوية وتوظيفها في الإعلام المرئي.

- دراسات في السيرة النبوية ، فيمكن ربطها بظاهرة التسرب المدرسي مثلا فيصاغ البحث على هذا النحو محطات في السيرة النبوية وأثرها في استثمار الشباب المتسرب من المدارس.

والله ولي التوفيق

خاتمة:

وفي نهاية هذه الدراسة نخلص إلى ما يلي:

إن منهج الله تعالى الذي ارتضاه لعباده في الأرض، يقوم أساسا على تقديس وتمجيد العلم النافع المرتبط بحياة الناس وواقعهم الجالب لمصالحهم في الحال والمآل والمحقق للسيادة والريادة في كافة المجالات، ولا يتحقق هذا المطلب الشرعي العظيم في الدراسات المتعلقة بالوحيين: الكتاب والسنة، إلا إذا حافظت هذه الدراسات على حدود خصوصيتها وطبيعة مادتها كعلم قائم بذاته، لكن في مجال البحوث والدراسات العلمية والأطروحات الأكاديمية لا بد أن تتكامل مع غيرها من العلوم الأخرى: الشرعية والإنسانية والاجتماعية.

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم

الإتقان في علوم القرآن عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ / 1974م.

-البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية رجاء وحيد دويدري، دار الفكر المعاصر. بيروت - لبنان - دار الفكر - دمشق - سورية، الطبعة الأولى - جمادى الآخرة 1421 هـ- أيلول سبتمبر2000م.

-المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

-المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الثانية، 1392هـ.

-النهاية في غريب الحديث والأثر مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، ت: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م.

-تدريب الراوي في شرح تقريب النووي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ت: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة.

-سنن ابن ماجه : ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، 1430 هـ-2009م.

-سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، ت: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى 1430هـ - 2009م.

-سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سؤرة ، الترمذي، أبو عيسى، ت أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر1395هـ-1975م.

-سنن النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب الطبعة الثانية، 1406 – 1986.

-شرح السنة محيي | السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ت شعيب الأرنؤوط – محمد زهير الشاويش المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، 1403هـ - 1983م.

-صحيح البخاري : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

-فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ.

-مقال: منهجية البحث في الدراسات الإسلامية وضوابطها الدكتور سعيد فكرة، مجلة الإحياء، العدد الثاني كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية جامعة باتنة، الجزائر.

إشكاليات التجديد في البحث الفقهي وآليات حلها

د/ دليلة بوزغار

المقدمة

قد قام الفقه الإسلامي قديما بدور عظيم لتنظيم حياة المسلمين وفق أحكام الشرع الإسلامي وذلك في مختلف المجالات على المستوى الداخلي والخارجي ، إلا أن تغيرات الزمان والمكان تقتضي ضرورة التجديد فيه ليحافظ على ذلك الدور خاصة ونحن في عصر كثرت فيه النوازل والمستجدات.

وهذا مادعى إليه كثير من المتخصصين منذ زمن بعيد إلا أنّ اكتمال ذلك لم يتم بعد لصعوبات كثيرة تعترض السائر في هذا الطريق على مستواه كباحث أو على مستوى المادة الفقهية أو على مستوى المنهج المعتمد فتأتي هذه المداخلة للجواب على سؤال : مامدي تأثير هذه الاشكالات على مسيرة التجديد في البحث الفقهي؟ وماهي الحلول المناسبة لتجاوزها ؟ وفق الخطوات الآتية :

أولا ، ضبط المصطلحات : إشكالات – البحث الفقهي– التجديد.

ثانيا ، واقع البحث الفقهي و مدى الحاجة إلى التجديد فيه.

ثالثا،أهم الإشكاليات:إشكالات ترجع الى الباحث–اشكالات ترجع الى المادة الفقهية –إشكلات ترجع إلى المنهج.

رابعا ،آليات حل تلك الاشكالات:

اولا ، ضبط المصطلحات : إشكالات – البحث الفقهي التجديد

1- معنى إشكاليات: مصدر صناعي من إشكال مجموعة المسائل التي يطرحها أحد فروع المعرفة" إشكالية الثقافة النص". التباس واشتباه في أمر أو شيء ما.

والمقصود هنا مختلف الصعوبات والعراقيل التي تواجه البحث الفقهي والتجديد فيه

2- مفهوم البحث الفقهي: البحث الفقهي مركب من كلمتين البحث " و" الفقه " وتعريفه يتوقف على تعريف كل كلمة على حده لغة واصطلاحا كما يلي :

أ : تعريف البحث لغة واصطلاحا

تعريف البحث لغة :

البحث من الفعل بحث ؛ قال ابن فارس : " الباء والحاء والثاء أصل واحد، يدلُّ على إثارة الشيء"[1] جاء في لسان العرب :" البحث طلبك الشيء في العراب بحثه ببحثه بحثا وابتحثه... والبحث أن تسأل عن شيء وتستخير ..." [2]و" بحث الأرض وفيها بحثا حفرها وطلب الشيء فيها، وفي التنزيل العزيز : **(فبعث الله غرابا يبحث في الأرض)** [3]والشيء وعنه طلبه في التراب ونحوه وفتش عنه والأمر وفيه اجتهد فيه وتعرف حقيقته وعنه سأل واستقصى فهو باحث وبحاث وبحاثة... (البحث) بذل الجهد في موضوع ما وجمع المسائل التي تتصل به ولمره هذا الجهد ونتيجته[4].

فيأتي البحث في اللغة بمعنى الطلب والسؤال والتفتيش والاستقصاء عن الشيء

تعريف البحث اصطلاحا :

البحث : من بحث الأمر : إذا اجتهد فيه .وجمع المسائل والآراء المتعلقة في موضوع واحد وفحصها وبيان الغث منها والثمين[5].

وجاء في كتاب التعريفات الفقهية :"هو إثبات النسبة الإيجابية والسلبية بين الشيئين بطريق الاستدلال[6].

ب - تعريف الفقه لغة واصطلاحا

---

[1] معجم مقاييس اللغة، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر الطبعة : 1399هـ - 1979م، ج1 ص 204 .
[2] لسان العرب، محمد بن مكرم من منظور الأفريني المصري، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى، ج 2 ص 114.
[3] المائدة 33.
[4] المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، تحقيق : مجمع اللغة العربية،ج 1ص40.
[5] معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي - حامد صادق قنيبي دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الثانية، 1408 هـ - 1988 م ص 104.
[6] محمد عميم الإحسان الجددي البركتي، دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبيعة القديمة في باكستان 1407هـ - 1986م بالطبعة: الأول، 1424هـ - 2003م، ص 42.

تعريف الفقه لغة :

لغة : "الفقه العلم بالشيء والفهم له... يقال أوتي فلان فقها في الدين أي فهما فيه قال الله عز وجل : (ليتفقهوا في الدين)[7] أي ليكونوا علماء به وفقهه الله ودعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال "اللهم علمه الدين وفقهه في التأويل..."[8] أي فهمه تأويله.....[9].

تعريف الفقه اصطلاحا:

إن " الفقه " عند الصدر الأول كان فقها شاملا للدين كله, غير مختص بجانب منه وقد كان الفقيه عندهم يعنى بالأصول قبل الفروع ويعنى بأعمال القلوب قبل عمل الأبدان, لذلك نقل عن الإمام أبي حنيفة " أن الفقه هو معرفة النفس مالها وما عليها"[10] ، كما أنه سمى ورقات وضعها في العقيدة باسم " الفقه الأكبر"[11] ، فالفقه كان يشمل في ذلك العهد علم العقيدة وأحكام الفروع والأخلاق [12]، وممن نص على هذا ابن عابدين فيقول: " المراد بالفقهاء العالمين بأحكام الله تعالى اعتقادا وعملاء لأن تسمية علم الفروع فقها حادثة"[13] . ويؤيده الغزالي فجاء عنه قوله: " ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة.."[14]. ثم أصبح يختص بعلم الفروع فعرف بأنه : **"العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية"[15]، أو " العلم بالأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية بالاستدلال"[16].**

ج- مفهوم المركب "البحث الفقهي "

---

[7] التوبة 123.
[8] المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ، 1411 - 1990 ، تحقيق : مصطفى عبد القادر مطار ج 3 ص 617.
[9] لسان العرب، ابن منظور ، ج13 ص 522.
[10] شرح التلويح على التوضيح لمان التايح في أصول الفله، سعد الدين التفتازاني، دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ط1, د.ت. ج1 ص 16.
[11] المصدر نفسه، ج1 ص 16, موسوعة جمال عبد الناصر في الفقه الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية, القاهرة,سنة 1386ه. ج1 ص 9 .
[12] تاريخ الفله الإسلامي، عمر سليمان الأشتر قصر الكتاب البليدة, الجزائر، درطى درت، ص 10-11.
[13] حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، ابن عابدين، دار الفكر, سنة (1421هـ, 2000م)، ج1 ص.50.
[14] إحياء علوم الدين المكتبة التجارية الكبرى، در طردت, ج 1 ص 32.
[15] البحر الرائق شرح كنز الدقائق زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري المتوق: 970هـ)، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية متج أص3، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، أحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي (المتول: 1126هـ)، دار الفكر، دما سنة 1415هـ - 1995 م، ج 1 ص 22 روضة الطالبين، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي المتوفى سنة 676 ، ومعه المنهاج السوي في ترجمة الامام النووي منتقى المنيوع فيما زاد على الروضة من الفروع للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود الشيخ على محمد معرض دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ج 1ص9.
[16] المبدع في شرح المقنع، إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (التول: 884هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، 1418هـ - 1997م ،ج1ص17.

عرفه اسماعيل سالم عبد العال بقوله **: فالبحث الفقهي أو مناهج البحث في الفقه كما يسميها بعض الدارسين تعني : خطة الدراسة الفقهية المبنية على قواعد معينة وأصول مرعية المجموعة من الحقائق بقصد التوصل إلى حكم أو أحكام فقهية جديدة أو اختيار حكم أو أحكام سبق التوصل إليها وقوتها الأدلة[17].**

فالبحث الفقهي من خلال هذا التعريف له عدة مقومات هي :

-يتأسس على خطة وليس بحثا عشوائيا وهي ميزة كل بحث علمي .

-يعتني بالدراسات الفقهية أي مجاله الأساسي هو الفقه الإسلامي لذلك أضيف له .

-تقوم هذه الدراسة على قواعد وأصول حتى لا يتدخل الهوى فيها .

-الهدف من البحث الفقهي هو الوصول إلى الحكم أو الأحكام الشرعية سواء أكانت أحكام جديدة كما في حالات القضايا المستجدة والنوازل ، أو الترجيح بين مجموعة بين الأحكام باختيار حكم منها لقوة أدلته كما في الدراسات الفقهية المقارنة .

وهذا بالطبع يقتضي جهدا معتبرا للوصول للحقائق الشرعية وتحقيق الإضافة العلمية وإلا كان البحث الفقهي لا قيمة له إذا كان مجرد جمع لما سبق إليه الفقهاء القدماء؛ "... والبحث في الشريعة إلى أنها ونظائرها مما استحدث تحتاج إلى جهد خلاق ، وبحوث عديدة ، يبتغى من ورانها إضافة جديدة تحقق مصلحة الشريعة وتدور معها أنى دارت ، وبناء على هذا ، فإن الدراسات الفقهية التي تقرر ما سبق أن قدمه الفقهاء لا جديد فيها إلا من حيث العرض والأسلوب ... وتجميع المعلومات دون إضافة جديدة - يعد عملا "أرشفيا "لا جديد فيه"[18].

ومن هنا يكون التجديد فيه ضرورة شرعية

3- معنى التجديد :

لغة : من جدد الشيء أي صيره جديدا والجدة نقيض البلى

وتحديد الفقه من هذا المعنى حيث يصير جديدا لا في أحكامه وأصوله **ولكن في التنزيل والمعرفة بالواقع لتحقيق المقصد الشرعي ورفع العنت عن المكلفين قال في عون المعبود: " والتجديد هو إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاها"[19] وأوسع القرضاوي في بيانه فقال : " إن التجديد الحق هو الذي يبنى**

---

[17] البحث الفقهي طبيعته –خصائصه – أصوله – مصادره مع المصطلحات الفقهية في المذاهب الأربعة ، مكتبة الأسدي مكة المكرمة ، الطبعة الأولى سنة 1429هـ -2008م ص13-12.

[18] المرجع السابق ، ص 16.

[19] عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي مع شرح الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية دار الكتب العلمية بيروت . لبنان ج 11 ص 260 الطبعة الثانية 1415هـ . 1995 م .

على الأصول ويرتبط بالجذور ويستلهم التراث ويستنطق التاريخ ويصل اليوم بالأمس ولا يتنكر لأسلافه وإنما يصطف إليهم وينمى تراثهم العلمي والحضاري [20].

ويصدق هذ المعنى ويؤصله الحديث : " إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا ".

ثانيا ، واقع البحث الفقهي و مدى الحاجة إلى التجديد فيه :

تهتم الكثير من الجامعات الإسلامية في الجزائر بالبحث الفقهي من خلال الدراسة الأكاديمية في التخصصات الشرعية الفقه وأصوله ، والشريعة والقانون في مرحلة الليسانس ، والماستر، والدكتوراه وفق تخصصات مختلفة ،إضافة إلى مخابر البحث المختصة في الدراسات الشرعية والتي تعنى بتنظيم الملتقيات والندوات الوطنية والدولية ، إضافة إلى المجلات والدوريات التي تعنى بنشر البحوث الشرعية إلا أن البحث الفقهي لايزال لم يحقق الغايات المرجوة منه يقول مسعود فلوسي **" إن الملاحظ المتمعن لواقع العملية التعليمية التعلمية في معاهدنا الإسلامية ، يستطيع أن يلاحظ يكل سهولة غياب البعد الهدفي في عملية التعليم عندنا ، فالمهم هو التعليم والانتهاء من البرنامج وامتحان الطلبة ولا شيء بعد ذلك .. وهذا مسلك يبتعد بالعملية التعليمية عن هدفها الأصيل الذي هو أساسا تنمية ملكة الفقه والفهم لدى الطالب وتزويده بالوسائل التي تساعده على إيجاد الحلول للمشكلات التي تواجه الأمة عامة ، وقد تواجهه هو نفسه"**[21].

"فتجديد الفقه يجعله أقرب إلى طبيعة العصر الذي يحاول أن يقرب كل أنواع المعرفة للناس بمختلف الأساليب كما يجعله أقرب إلى التعبير عن قضايا العصر ومشكلاته الكثيرة التي تقتحم حياة الناس وتجعلهم يتساؤلون عن حكمها الشرعي وكيف يتعاملون معها في ضوء التزامهم بدينهم "[22].

ثالثا ،أهم الإشكاليات : إشكالات ترجع للباحث – اشكالات ترجع إلى المادة الفقهية- إشكلات ترجع إلى المنهج

1- أشكالات ترجع للباحث :

[20] فقه الوسطية الإسلامية والتجديد معالم ومنارات) دار الشروق مصر 2010 ص236.
[21] نقد طرائق البحث الفقهي والأصولي قديما وحديثا وكيفية تلافيها في بحوثنا ومناهجنا التعليمة اليوم ، مسعود فلوسي ، مجلة كلية العلوم الإسلامية الصراط - العدد السابع . 1424هـ جوان 2003،ص96.
[22] الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي المعاصر ، عبد القادر الشايط مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية المجلد 4 العدد 2 ديسمبر 2020 ص 165.

الباحث هو المحور الأساسي في عملية البحث العلمي الفقهي ومن ثم لابد أن يكون له القدرة والملكة حتى يستطيع أن يأتي بالجديد في مجاله ولعل من أكبر الصعوبات التي تواجهه :

-عدم التخصص منذ المراحل الأولى للتعليم مما يؤثر على تكوين الباحث.

-رهبة الباحث من القول بالجديد لتقديس التراث الفقهي وإن كان قادرا على ذلك في بعض الأحيان

-اعتماد طريقة النقل الكثير دون ترجيح بين الأقوال مع توفر أدلة الترجيح بسبب ذلك عدم رغبة الباحث في موضوع البحث خاصة مع اعتماد طريقة إسناد عناوين المواضيع وتعميم ذلك في مرحلة الدكتوراه.

-غياب الربط بين القديم والمعاصر بالاقتصار على ماقاله الأولون وضرب أمثلة لا علاقة لها بالواقع.

2- إشكالات ترجع للمادة الفقهية :

-ضعف مستوى البحوث الأكادمية وعدم خروجها عن دائرة التكرار لما سبق بسبب ضعف مستوى الباحثين لضعف مستوى التكوين.

-فجوة الكبيرة بين اللغة التي كتبت بها المؤلفات الفقهية واللغة المستعملة اليوم.

-كتب الفقه القديمة تضم مسائل كثيرة لا وجود لها في حياة الناس اليوم.

-تغير المعطيات التي تساعد على تصور الواقع فالفقه قبل التقدم التقني والطبي الحديث اعتمد على المعلومات المتاحة في ذلك الوقت والان هناك كثير من الحقائق العلمية التي تتناسب وتطورات العصر مما يجعل الباحث في حيرة من أمره مثل مدة الحمل أربع سنوات قضايا النسب والإثبات في الجنايات مثلا ... معاملات معاصرة بأسماء مختلفة.

- كثرة النوازل الفقهية مما يستوجب ضرورة المتابعة لكل جديد لربط الأحكام الشرعية بفقه الواقع.

3- إشكالات ترجع للمنهج :

- يوجد الكثير من المؤلفات الفقهية قديما وحديثا لكنها لاتزال قاصرة لتقديم الفقه للناس في أسهل صورة فمثلا في المؤلفات القديمة كثرة التفريعات والمسائل والآراء الخلافية مع صعوبة اللغة يصعب وظيفة الباحث والدارس للفقه

-الرسائل العلمية لم تبتعد كثيرا عن المنهج نفسه من خلال النقل الكثير للآراء الفقهية وعدم اتباع أسلوب الراجح من الآراء ، ونقل الأمثلة والمصطلحات نفسها دون ربطها بالواقع إلا نادرا -

-وضع بحوث ما بعد التدرج على رفوف المكتبات دون تفعيل النتائج المتوصل إليها .

-عدم تنفيذ التوصيات والاقتراحات الناتجة عن الملتقيات الوطنية والدولية حيث تبقي خبر على الورق على أهميتها .

-اهتمام فرق البحث بالجانب النظري للبحث الفقهي وعدم الولوج إلى الجانب التطبيقي الذي يمس مختلف مجالات الحياة .

-ابعاد الشريعة الإسلامية عن التطبيق الفعلي لأحكامها مما جعل البحوث الفقهية في مرحلة التنظير دون التطبيق.

-عدم وجود هيئات علمية رسمية فعالة في الجزائر تعنى بتطوير البحث الفقهي إلا بعض الجهود القليلة من خلال مؤسسات الفتوى التابعة للشؤون الدينية أو المؤسسات الفردية التي تعنى بالجانب الشرعي...

رابعا ، آليات حل تلك الاشكالات :

يجب أن يتكاثف دور الباحث في مجال الفقه كفرد والهيئات المختصة للوصول لتحقيق التجديد في البحث الفقهي شكلا ومضمونا وتجاوز مختلف العقبات من خلال الخطواتالآتية :

1- التجديد في المضمون [23]أو المادة الفقهية ويشمل :

*تنقية التراث الفقهي من الآراء الشاذة والرأي الشاذ هو ما يخالف القياس قال القرافي :" وكل شئ أفتى به المجتهد فوقعت فتياه فيه على خلاف الاصل والقواعد والاجماع والنص والقياس الجلي السالم عن المعارض الراجح، لا يجوز لمقلده أن ينقله للناس ولا يفتي به في دين الله تعالى، فإن هذا الحكم لو حكم به حاكم لنقضناه وما لا نقره شرعا بعد تقرره بحكم الحاكم أولى أن لا نقره إذا لم يتأكد وهذا لم يتأكد فلا نقره والفتيا بغيره شرع حرام فالفتيا بهذا حرام. وإن كان الامام المجتهد غير عاص فعلى أهل العصر تفقد مذاهبهم، فكل ما وجدوه من هذاا لنوع يحرم عليهم الفتيا به ولا يعرى مذهب من المذاهب عنه لكنه قد يقل وقد يكثر غير أنه لا يقدر أن يعرف هذا من مذهبه إلا إن عرف القواعد والقياس الجلي والنص الصريح وعلة المعارض لذلك

[23] نظرات في مجال التجديد الفقهي عز الدين كيحل ، بلقاسم زقرير مجلة العلوم الإنسانية جامعة محمد خيضر بسكرة العدد 32 نوفمبر 2013 ص 239-259.

وذلك يعتمد تحصيل الفقه والتبحر في الفقه فإن القواعد ليست مستوعبة في أصول الفقه، بل للشريعة قواعد كثيرة جدا عند أئمة الفقه والفتوى لا توجد في كتب أصول الفقه أصلا وذلك هو الباعث لي على تصنيف هذا الكتاب لضبط تلك القواعد بحسب طاقتي، وباعتبار هذا الشرط يحرم على أكثر الناس الفتيا فتأمل ذلك فإنه أمر لازم "[24].

*ترك بعض المباحث الفقهية للدراسة التاريخية : والمقصود بذلك ماكان نتاجا لظروف سياسية أو اجتماعية معينة كمباحث أمهات الأولاد والعبيد والإماء وما يتعلق بها.

*النظر في معضلاتنا المتعددة والمتجددة والحرجة كالاستنساخ بين الزوجين وقتل المرحمة والبصمة الوراثية و غيرها من النوازل المعاصرة.

*ربط الفقه الإسلامي بالبعد العقدي والروحي والمقاصدي والأخلاقي : لذلك عرف الفقه قديما أنه معرفة النفس مالها وما عليها " وحاجتنا اليوم في الخطاب الديني كما قال القرضاوي :" أن نعيد لأذهان الناس فقه العبادة لا علم العبادة "[25] .

-الاستفادة من المذاهب غير السنية مالجعفرية والإباضبة يقول الغزالي : " إني لا أتعصب لمذهب معين ولكني أحترم القيمة العلمية للفقه المذهبي وأقدر الرجال الكبار الذين تناقلوه في تاريخنا الثقافي" [26].

- ترقية الخطاب الفقهي المتعلق بالمراة : " ولا يقتل وقال الزهري : لا يقتل الزوج بامرأته لأنه ملكها بعقد النكاح أشبه الأمة"[27].

التجديد في الشكل ويتضمن :

-إعادة الصياغة بما يبناسب ولغة العصر بتتشجيع التأليف بلغة العصر على مختلف المستويات.

-الاهتمام بصباغة القواعد الفقصة العامة والنظريات الفقصة التى تجمع المادة الفقصة المتناثرة في

مظان أمهات الكتب.

[24] مواهب الجليل لشرح مختصر خليل تأليف أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي المعروف بالحطاب الرعيني المتوفي سنة 954هـ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ج11ص109.
[25] العبادة في الإسلام مؤسسة الرسالة بيروت 1981 2 ص 300.
[26] تاريخنا الفكري بين الشرع والعقل دار المعرفة الجزائر دت ص .154.
[27] المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، الناشر : دار الفكر - بيروت الطبعة الأولى ، 1405 ج 9 ص 360.

- تشجيع تقنين الفقه ليسهل تطبيق أحكامه وإطلاع غير المتخصصين عليها والإفادة بها.

-نشر ثقافة الراجح من الأقوال خاصة في ظل التكامل المعرفي فمثلا مسائل كثيرة كانت خلافية لكن العلم الحديث الآن يمكن الترجيح كالمسائل الطبية المتعلقة بعدة المرتابة والحمل لأربع سنوات...

-ضرورة الاهتمام أكثر بالعلوم الإسلامية في مختلف المراحل التعليمية لتكوين مختصين أكفاء في العلوم الشرعية قادرين على متطلبات البحث الفقهي الجاد.

-تسخير كافة الإمكانات المادية والعلمية رسميا لتشجيع البحث الفقهي في مختلف المؤسسات الشرعية .

- ضرورة الانتقال بالبحوث الفقهية من الجانب النظري إلى التطبيقي بتفعيل نتائجها في الواقع من خلال الممارسة الفعلية للمختصين في العلوم الإسلامية على مستوى البنوك والقضاء وغيرها.

-ضرورة التكوين المستمر للمتصدرين للفتوى بإسناد ذلك لأهل الاختصاص المتمكنين ، وبالإفادة من تجارب الدول الإسلامية الأخرى وتبادل الخبرات في مجال طرق التربية ومختلف المناهج التعليمية في العلوم الإسلامية .

-حاجة الأمة إلى مؤسسات فقهية مستقلة وكبيرة تسخر لها كافة الإمكانات وترصد لها وسائل الوصول إلى المعلومات ، وينضوي تحتها علماء الأمة المتبحرون في الأصول والمقاصد الذين يستعينون بدورهم بالعلماء في مختلف التخصصات للوصولإلى المعلومة الصحيحة من معينها الأصلي لبناء الفتوى الصحيحة على أساسها[28] .

- إعادة البحث والدراسة لكثير من الموضوعات الاجتماعية والطبية والمعاملات المالية مما درسه الفقهاء السابقون في ظل بيئتهم وظروفهم ومستوى تقدمهم العلمي ... الأمر الذي يستوجب دراسة ما جدفي ضوء التقدم العلمي في العصر الحاضر في ظل القواعد الكلية في الشريعة الإسلامية ومقاصدها العامة [29].

وفي الأخير لا يمكن للبحث الفقهي أن يؤدي الدور الحقيقي المنوط به إلاّ قام به ذوي الاختصاص المؤهلين علما وأمانة ممن امتلك الملكة الفقهية القادرة على فقه

[28] الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي المعاصر ، عبد القادر الشايط، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية ، المجلد 4العدد2 ،ديسمبر ، 2020ص185.
[29] قد طرائق البحث الفقهي والأصولي قديما وحديثا وكيفية تلافيها في بحوثنا ومناهجنا التعليمة اليوم ، مسعود فلوسي ،ص 94.

النص وفقه الواقع ، وهذا لا يتأتي إلا بإعادة النظر في المناهج التعليمية وطرائقها منذ المراحل الأولى للتعليم إلى مستوى التعليم الجامعي والبحث العلمي.

خصائص البحث في الاتصال الدعوي في البيئة الرقمية دراسة تحليلية

د. صليحة العابد

الايميل :s.labed@univ-emir.dz

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى الوقوف على أبرز خصائص الاتصال الدعوي في البيئة الرقمية، وذلك من خلال التعرف على الخصائص المرجعية الأصيلة، والتطرق إلى أهم المجالات البحثية التي تميز البحث الدعوي الاتصالي وكذلك المناهج وأدوات جمع البيانات المعتمدة من خلال التحليل الكمي والكيفي لعينة من البحوث، مع اقتراح موضوعات ومناهج بحثية مناسبة لتفعيل وتحيين بحوث الاتصال الدعوي بما يخدم أولويات الدعوة.

الكلمات المفتاحية: خصائص، الاتصال الدعوي، البيئة الرقمية.

Abstract:

This study seeks to identify the most prominent characteristics of advocacy communication in the digital environment, by identifying the original reference characteristics, and addressing the most important research areas that characterize communication advocacy research, as well as the methods and tools for collecting approved digital data. Through quantitative and qualitative analysis of a sample of research, proposing appropriate research topics and methods to activate and modernize advocacy communication research to serve advocacy priorities.

Keywords: characteristics, advocacy communication, digital environment

مقدمة:

يمثل البحث في الاتصال الدعوي حلقة الدفع الأساسية من أجل تفعيل العملية الدعوية في الوقت الحالي، حيث أن العدة الأكاديمية من شأنها أن تؤصل للاتصال الدعوي كممارسة ضرورية ضمن إطارها العلمي في نطاق تكامل علم الاتصال بفقه الدعوة مما يسمح ببلورة قاعدة معرفية وطرق بحثية كفيلة بتحقيق هذا الهدف.

يزداد هذا المطلب مع تداعيات البيئة الرقمية التي شكلت تحديا كبيرا للحقل الدعوي سواء على المستوى المحلي أو الدولي. فمع انتشار التقنيات والتكنولوجيات أصبح لزاما على الداعية أن يتسلح بأدوات العصر الرقمي وأن يكتسب مهاراته ويجيد التعامل معه. ولهذا تعتبر المراجعة النقدية والدراسة الموضوعية للمعطيات المعرفية والتراكم البحث الذي عبرت عنه بحوث الاتصال الدعوي خطوة البدء في سبيل امتلاك رؤية من شأنها إعادة بناء بحوث الدعوة والاتصال، بحيث تكون أكثر تعبيرا عن واقع التواصل بين المسلمين في مجتمعاتهم.

حيث أنه لم يعد مقبولا في ظل التطورات المعرفية والتقنية أن يبقى الفعل الدعوي الاتصالي يراوح مكانه بين سؤال مشروعية الاستخدام فيما تعلق بالوسائل أو وعظية المضمون فيما تعلق بالرسالة، لأجل ذلك لابد من تحليل ونقد التراكم العلمي والمنهجي الذي عبرت عنه بحوث الاتصال الدعوي من أجل استخراج خصائصها المرجعية والتطبيقية والنظر في كيفية توظيف المناهج البحثية لتحقيق أهداف الدعوة بشكل فعال، ولذلك تم طرح التساؤل الرئيس للدراسة كما يلي:

ماهي خصائص البحث في الاتصال الدعوي في البيئة الرقمية؟

وانبثق عن هذا التساؤل الأسئلة الفرعية الآتية:

ماهي الخصائص المرجعية للبحث في الاتصال الدعوي في البيئة الرقمية؟

إلى أي مدى تعكس الخصائص الحالية لبحوث الاتصال الدعوي في البيئة الرقمية التحولات الاتصالية الحديثة؟

هل المناهج والأدوات المستخدمة تلبي متطلبات دراسة الظواهر الدعوية الرقمية؟ إلى أي مدى كان حجم استفادة بحوث الاتصال الدعوي من نظريات الاتصال؟ ماهي أبرز التحديات التي تواجه الباحث في الاتصال الدعوي في البيئة الرقمية؟

ثانيا: أهمية البحث

تساهم في إثراء الأدبيات النقدية حول الاتصال الدعوي في البيئة الرقمية.

تساعد على تطوير أدوات بحثية تتناسب مع التحولات في البيئة الرقمية.

تقدم رؤية نقدية للممارسة البحثية الحالية مما يساهم في تحسين جودة الأبحاث في الاتصال الدعوي؟

ثالثا: مفاهيم البحث

يجدر بنا في مقدمة هذا البحث تحديد المفاهيم الرئيسية الواردة فيه وهي:

الاتصال الدعوي

هو مفهوم مركب من كلمتين الاتصال والدعوة وهي من المفاهيم الحديثة المشكلة في إطار العملية الاتصالية. ومن بين تعريفاته أنه عملية مخططة ومدروسة في شكل رسالة يعبر عنها برموز موجهة من المرسل وهو الداعية إلى المستقبل وهو المدعو، يسعى من خلالها المصدر إلى تبليغ ونشر رسالته الدعوية والتأثير في المتلقي باستخدام كافة الوسائل المشروعة والمتاحة (بن سعيدي، 2022)

في كتابه "مدخل إلى الاتصال الدعوي ، يشير الدكتور عبد الله عدوي إلى أن الاتصال الدعوي هو أحد مجالات الاتصال المخصص لنشر الرسالة الإسلامية باستخدام أساليب اتصالية علمية، بهدف تحقيق التأثير المطلوب على الجمهور المستهدف، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين. يؤكد الكتاب على أهمية الاستفادة من منجزات الإعلام وفعاليته الاتصالية لتحقيق الأهداف الدعوية بما يتماشى مع روح الاتصال العصري الفعال (عدوي، 2020)

البحث في الاتصال الدعوي:

البحث العلمي هو عملية منظمة ومنهجية تهدف إلى اكتشاف المعرفة الجديدة أو تطوير المعرفة الموجودة من خلال جمع البيانات، وتحليلها، واختبار الفرضيات، وفق أسس منهجية دقيقة. يعتمد البحث العلمي على التجربة والملاحظة والاستنتاج، وهو أساس التقدم في مختلف العلوم.

وفي سياق البحث هو البحوث العلمية المنجزة في مجال الاتصال الدعوي، ولابد من الإشارة هنا إلى الارتباك الحاصل في توحيد مصطلح الاتصال الدعوي على مختلف استخدامات وسائل الاعلام في الدعوة إلى الله حيث نجد بحوثا تحت مسمى الاعلام الديني والاعلام الإسلامي وغيرها.

البيئة الرقمية:

البيئة الرقمية هي بيئة يكون اتصال المستفيد منها من أي مكان ومن أي حاسوب أو هاتف ذكي، وهي تشير إلى الفضاء الافتراضي الذي تُدار فيه المعلومات والمعاملات

عبر الوسائط الإلكترونية والتقنيات الحديثة، مثل الإنترنت والحواسيب والشبكات الرقمية في هذه البيئة، ويتم إنشاء وتبادل المحتوى الرقمي بما في ذلك النصوص والصور والفيديوهات بطرق تفاعلية تسهل الوصول إلى المعلومات وتبادلها بسرعة وفعالية.

البيئة الرقمية في مجال الإعلام والاتصال تشير إلى الفضاء الافتراضي الذي تستخدم فيه التقنيات الرقمية مثل الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي لنقل المعلومات والتفاعل بين الأفراد والمؤسسات. في هذه البيئة، تتكامل الوسائط المتعددة كالنصوص والصور والفيديوهات لتقديم محتوى إعلامي متنوع، مما يُحدث تحولا جذريًا في طرق الاتصال التقليدية ويُعزز من تفاعلية الجمهور ودوره في صناعة المحتوى

بالإضافة إلى ذلك، يشير كتاب نظريات الاتصال والإعلام في البيئة الرقمية" إلى أن البيئة الرقمية أتاحت تفاعلات غير مسبوقة بين المرسل والمستقبل، مما أدى إلى تغيير ديناميكيات الاتصال وجعل الجمهور جزءا فاعلا في إنتاج وتوزيع المحتوى الإعلامي (حمدي وآخرون، 2024)

بالتالي، تمثل البيئة الرقمية في مجال الإعلام والاتصال منظومة حديثة تعتمد على التكنولوجيا الرقمية لتعزيز التواصل التفاعلي، وتوسيع نطاق الوصول إلى المعلومات وتمكين الجمهور من المشاركة الفعالة في صناعة المحتوى الإعلامي.

خصائص:

الخاصية هي مجرد يعبر عن الموصوف من وجهة نظر الواصف (Oronology.2024) وفي سياق البحث هي المميزات النظرية والتطبيقية التي يتميز بها البحث في مجال الاتصال الدعوي.

وبالتالي فالتعريف الاجرائي للدراسة هو توصيف البحوث التي أنجزت في مجال استخدام الوسائل التكنولوجية والوسائط الرقمية في الدعوة إلى الله من حيث مميزاتها النظرية والتطبيقية.

رابعا: منهج البحث

يعد هذا البحث من البحوث الوصفية المعتمدة على المنهج الوصفي، ذلك أنها تنطلق من تصوير وفحص بحوث الاتصال الدعوي، ويعتبر المنهج الوصفي بأنه طريقة لدراسة الظواهر والمشكلات العلمية من خلال القيام بالوصف بطريقة علمية محكمة وهو أسلوب للتحليل العلمي المتعلق بظاهرة محددة المعالم ومكررة الحدوث، بما يساعد في بلوغ نتائج موضوعية، وبما يتلاءم مع المعطيات الأولية المتاحة، ومن استخداماته دراسة الأوضاع الراهنة للظواهر من حيث خصائصها ، أشكالها علاقاتها والعوامل المؤثرة في ذلك (المحمودي 2019)

ولتحقيق هدف الوصف قمنا بإجراء دراسة تحليلية كمية وكيفية لعينة من المقالات العلمية التي أجريت في مجال الاتصال الدعوي في البيئة الرقمية والمنشورة في البوابة الوطنية للمجلات، باعتبارها

الحاضنة الوطنية الشاملة للبحث العلمي الوطني في مختلف المجالات وينبغي الإشارة هنا إلى أن الكمات المفتاحية الأساسية للبحث كانت بمتغيرات اصطلاحية الاتصال الدعوي البيئة الرقمية الاعلام الديني البيئة الرقمية الاعلام الإسلامي البيئة الرقمية؛ وذلك للارتباك الحاصل في توحيد المفهوم كما سبقت الإشارة له.

خامسا: المحددات الأساسية لتوصيف بحوث الاتصال الدعوي يمكن حصرة

ثلاث محددات معيارية أساسية لعملية تصنيف وتوصيف بحوث الاتصال الدعوي وهي:

الخصوصية المرجعية:

إذا كانت الدعوة بمرجعيتها التأصيلية تعتير المرتكز الأساسي للفعل التواصلي فإن الباحث في مجال الاتصال الدعوي من المفترض أنه يستند إلى رؤية تأصيلية تمنعه من حالة الاغتراب المعرفي على الأقل وتمكنه من تحديد موقعه بين خطوط الخريطة المعرفية العامة لبحوث ودراسات الاتصال.

بعد القراءة الاستقصائية للمحتوى التواصلي في القرآن الكريم والسيرة النبوية تتجلى لنا معالم النشاط الاتصالي وتتحدد معالمه والاتصال في القرآن الكريم مقوم أساسي لحياة الانسان، وهو سبيل يمكن الانسان من تبادل الآراء والأفكار واكتساب الخبرات كما أنه سبيل للتربية والتزكية والتبادل المعرفي والحضاري وتعزيز أواصر التواصل البشري على أساس التآلف والتوافق حيث جاء في القرآن الكريم [يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إنا أكرمكم عند الله أتقاكم] الحجرات (هواري (2018) ولم يكتف القرآن بوصف العملية الاتصالية فحسب بل فصل في كل عنصر من عناصرها بدء بالقائم بالاتصال الى الرسالة الى مراعاة أحوال المتلقين وهكذا .

بيد أن الاحتكام لهذه المنهجية يستوجب الالتزام بالتصور الإسلامي عند صياغة المضمون، وتحديد الأهداف المحورية الكبرى إذ الانسان هو الغاية والهدف وهو الاستثمار الإعلامي الحقيقي، لهذا يسعى إلى يسعى إلى المراهنة على ترك الأثر على مستوى الأفكار والسلوكيات والتمثلات والادراكات المحيلة على الفرد والجماعة على حد سواء (دكاني، 2017)

إذا كان هذا هو الحال في الاتصال الدعوي في تأصيله ومرجعيته فالباحث في مجال الاتصال الدعوي من المفترض أن يستند إلى رؤية تأصيلية تمنعه من حالة الاغتراب

المعرفي والمنهجي وتمكنه من تحديد موقعه بين خطوط الخريطة العامة لبحوث ودراسات الاتصال.

المقاصدية:

القصد: استقامة الطريق ومنها قوله تعالى: [وعلى الله قصد السبيل النحل، أي تبيين الطريق الصحيح، والحديث عن المقاصد يقودنا للحديث عن الشريعة وهي ما شرعه الله لعباده من الأحكام والعقائد والطريقة وهي المعاني والغايات التي أرادها الشارع من أحكامه (باي، طرشاني، 2017)

إذا اعتبرنا أن مقاصد الشريعة من الأمور التي يجب على المسلمين والعالم السعي لتحقيقها على أرض الواقع والحفاظ عليها، ولما كان لابد لتحقيق هذه المقاصد من وسائل، فإن من خير الوسائل اليوم لتحقيق المقاصد ونشرها وسائل الاعلام بمختلف أنواعها فالعمل الإعلامي وسيلة عظيمة لتحقيق مقاصد الشريعة الإسلامية فهو مندرج تحت وسائل تحقيق المقاصد وأحكامها وتفاصيلها التي تتميز بالسعة والمرونة والرحابة من أجل فتح أبواب المصالح المشروعة للناس وإغلاق المفاسد الممنوعة (العتيبي، مقاصد الشريعة والاعلام)

الضابط الأخلاقي:

من بين نقاط القوة للاتصال الدعوي هو ضابطه الأخلاقي، إذ أن الاعلام الوضعي المعاصر انفصل عن الدين والأخلاق لأسباب كثيرة بالمقابل الاعلام والاتصال الدعوي هو إعلام صدق وامانة وثقة ودقة وشمولية وموضوعية، وهو ما يجعله البديل الأفضل لإعلام اليوم.

النشاط الدعوي الاتصالي خلافا للنشاط الاتصالي العام يحمل الرقابة على الفعل الاتصالي رقابة ذاتية مرتكزة على الأخلاق والنظرية الإسلامية في الأخلاق نظرية فريدة عمدتها الالتزام والمسؤولية والجزاء

هذه المنطلقات المرجعية ثابتة ترفع من درجة المساءلة الذاتية للباحث في الاتصال الدعوي والالتزام بها مع توفر العدة المنهجية اللازمة يضمن له سلامة نتائجه معرفيا.

المحددات المنهجية:

وتنعكس هذه المحددات من خلال عنصرين

التكامل في مناهج العلوم الاجتماعية والإنسانية عموما:

إن الوعي بالتداخل المنهجي بين علوم الاتصال والحقول المعرفية المحيطة يمثل قاعدة أساسية لاستيعاب علم الاتصال، وذلك المجال الذي يتداخل فيه النظري

والتطبيقي ويمتزج فيه الاجتماعي بالاقتصادي والتقني بالسياسي وتشكل حالات الإغراق في التواصل الفردي وإدمان التكنولوجيا الاتصالية مجالات جديدة للبحوث ويعرض تاريخ الاتصال كيف أن هذا الحقل ظل مفتوحا أمام الحركة البحثية ومن ثم يظل الخيار المنهجي الأفضل هو فتح الباب لاستمرار التواصل القائم بين التخصصات المهمة بدراسة الظاهرة الاتصالية

التكامل بين الدعوة والاتصال ومن ثم التكامل بين بحوث الدعوة وبحوث الاتصال:

الحديث حول الاتصال الدعوي هو من جانب حديث عن الدعوة في سياقها المعاصر وحديث عن الاتصال في سياقه الإسلامي، وتتداخل هذه المتغيرات في البيئة الرقمية بفعل التطبيقات التكنولوجية المتلاحقة بما لا يدع المجال للشك في ارتباطهما المحقق، وينعكس هذا الأمر على الجهود البحثية المرجوة في مجال الاتصال الدعوي فبناء منظومة بحثية تأصيلية مسؤولية كبرى تتطلب أسسا منهجية علمية جادة وخبرة بحثية تراكمية في كل من تكامل البحث الدعوي بكلياته وفقهه وأولوياته والبحث الاتصالي بتقنياته ووسائله.

ولا ننسى هنا الإرث المنهجي لبحوث الاتصال بكل نقائصه وما ينبغي الانتباه لتدارك ما أمكن منها

المحددات البيئية:

تحديات البحث في الاتصال الدعوي في البيئة الرقمية جزء من تحديات العمل الدعوي في ظل هذه البيئة ككل وإن كان أبرزها.

سادسا: مؤشرات توصيف بحوث الاتصال الدعوي في البيئة الرقمية:

مؤشرات موضوعية:

يمكن هنا تصنيف بحوث الاتصال الدعوي من خلال هذا المؤشر إلى بحوث القائم بالاتصال، الرسالة الوسيلة المستقبل، الأثر اعتمادا على عناصر العملية الاتصالية والتي تنطبق بدورها على عناصر العملية الدعوية / كما يمكن تصنيفها إلى بحوث نظرية وأخرى تطبيقية.

مؤشرات منهجية:

المقاربات المنهجية المستخدمة في هذه البحوث الكمية والكيفية وأدوات جمع البيانات / وأدوات البحث في البيئة الرقمية.

مؤشرات نظرية:

المقاربات النظرية المستخدمة في هذه البحوث ومدى كفايتها لمعالجة مواضيع البيئة الرقمية.

سابعا: تحليل النتائج

تميزت موضوعات الاتصال الدعوي المدرجة في البحوث عينة التحليل ب:

- خلط المفاهيم والمصطلحات: اتصال دعوي / اعلام ديني/ اعلام إسلامي/ ما يمكن اعتباره ارتباكا يشتت الجهود البحثية لتأسيس منظومة مفاهيمية ثابتة تخدم الفعل الدعوي في ظل تحديات اليوم.

-الاتجاه نحو البحوث النظرية وقلة البحوث التطبيقية وإذا كانت بحوث الاعلام والاتصال عموما تعاني من هذا الأمر فبحوث الاتصال الدعوي جعل منها بحوث مكررة وعظية تحمل الكثير من التكرار للخصائص التأصيلية لهذا الاتصال دون القدرة على تفعيلها في بحوث تطبيقية أي عدم القدرة على الانتقال مما يجب أن يكون إلى كيف يكون.

من جهة أخرى موضوعات هذه البحوث لا تتوافق مع معطيات البيئة الرقمية في قطيعة مع الاحداثيات الزمانية والبقاء رهن مواضيع التأثير والاستخدام في زمن الذكاء الاصطناعي وما يمكن أن يفرزه من مواضيع جديرة بالبحث كالانتحال والتحيز مما يجعل بحوث الاتصال الدعوي البديل الأفضل اليوم .

-الاهتمام بدراسة المضامين بشكل جزئي محدود على حساب العناصر الاتصالية الأخرى وهو المنحى البحثي لهذا المجال في بداياته حيث كانت الدراسات التأصيلية المعيارية مثل: مضامين إعلامية في القرآن، التفسير الإعلامي للقرآن أساليب الاتصال في السنة النبوية وغيرها كلها وثقت لرحلة بحث الاتصاليين عن موطئ قدم ضمن المجال البحثي الاتصالي.

-عدم الاهتمام بدراسة بيئة الاتصال الدعوي على الرغم من القفزة الكبيرة في بيئة الاتصال الإنساني العام.

في حين أن ظهور الاعلام الجديد واكبه سلسلة من التحولات الأساسية العامة على صعيد الاهتمامات البحثية والموضوعات المطروحة على بساط البحث بشكل عام منها:

- التحول من التركيز على مفهوم الاستهلاك إلى مفهوم التفاعل.
- التحول من التركيز على مفهوم المتلقي إلى مفهوم المستخدم.
- التحول من مفهوم الجمهور العام إلى مفهوم الفرد الذي يتلقى المحتوى في شبه عزلة افتراضية.

- التحول من البحوث التي تركز على التفاعل الذي يتم في إطار الجماعات إلى البحوث التي تركز على التفاعل الشبكي، أو تفاعل الفرد مع الآلة. (إلهامي،2013).
- هذه الاعتبارات المبدئية أساسية في توجيه بحوث الاتصال الدعوي وفق عناصر البيئة الرقمية، خاصة أن العنصر الدعوي أو الديني يعرف بدوره رهانات أخرى تتطلب تجديد البحث.

على مستوى المقاربات المنهجية:

فرض الانتشار السريع للمنصات والشبكات الاجتماعية ضرورة اعتماد طرق جديدة في عملية البحث العلمي، حيث تغيَّر وجه الإعلام في العالم، وهو ما يسميه البعض بالثورة الرقمية"، مما يدعو إلى إعادة النظر في هيكلة كثير من المجالات في الصحافة وعلوم الإخبار، حيث أصبح الرقمي خلفية علمية وأساسية لمجالات المعلومات والاتصال.

ومن خلال نتائج الدراسة على مستوى المقاربات المنهجية المعتمدة تميزت البحوث المعتمدة في التحليل على سياق واحد وهو البحث الوصفي بأدواته التقليدية مسح ،المضمون، مسح الجمهور، حتى في مواضيع البيئة الرقمية، في غياب تام لمختلف المقاربات المنهجية الملائمة للبيئة الرقمية فكيف تعالج موضوعا رقميا بعدة منهجية تقليدية يقول نصر الدين لعياضي أن الاتجاه حاليا هو نحو مزج النظريات المتناسلة من براديغمات مختلفة ومتباينة لدراسة الميديا في السياق الرقمي وذلك ضمن ما يسمى بالمنحى التقنو* اقتصادي وهو ما يفتح الباب لمزيد من الاستفادة من جهة أخرى النظريات المتجذرة لدراسة الميديا والتي لا تقرأ ما يجري جمعه من بيانات بناء على نظرية قائمة وانما تحاول استقراؤه من أجل صياغة نظرية قادرة على تفسير الموقف الاتصالي (العياضي، 2023).

-تحليل الشبكات كاستخدامه لفهم انتشار الخطاب الدعوي عبر وسائل التواصل الاجتماعي وتحديد أكثر الشخصيات أو الوسوم تأثيرا مما يساعد في دراسة العلاقة بين المؤثرين الدعويين والجمهور

-تحليل المشاعر

-الاثنوغرافيا الرقمية

-المناهج الافتراضية

-المناهج الحاسوبية

-المناهج المختلطة.

-غلبة المناهج الكمية في نسختها التقليدية على حساب المناهج الملائمة

ويمكن بالمقابل الاستفادة من التحولات التي شهدتها بحوث الاتصال عموما على المستوى المنهجي: (إلهامي،2013).

-التحول من التركيز على التحليل الكمي إلى التحليل الكيفي للرسائل الاتصالية.

-الاتجاه إلى توظيف أساليب الملاحظة بالمشاركة التي تستند على قيام الباحث بالانخراط في خبرات ومجموعات الاتصال الشبكي بمختلف اشكاله

-التوسع في توظيف مناهج التحليل اللغوي والنصي لرسائل الاعلام الجديد.

-دراسات المستخدم النشط وكيفية تلقيه للمعلومة.

-عالمية المدخل المعلوماتي وإمكانية وصول الرسالة الدعوية

-تخصيص الجمهور بما يخدم أهداف الدعوة وتصميم الرسالة الدعوية الاتصالية المناسبة له.. / تأثير تحيزات الخوارزميات في وصول الرسالة الدعوية / استخدام الروبوتات والمساعدات الافتراضية (مثل Chabots) في الردود الفورية على الأسئلة الشرعية.

تحليل أنماط التفاعل مع الخطب والدروس الإلكترونية (الإعجابات التعليقات المشاركات). مقارنة تأثير الخطب المسجدية قابل الخطب الرقمية في تشكيل الرأي الديني.

التطور السريع للمحتوى والوسائل البيئة الرقمية متغيرة باستمرار، مما يجعل الدراسات تحتاج إلى تحديث مستمر لمواكبة المستجدات في المنصات الرقمية والخوارزميات.

على مستوى المقاربات النظرية:

يلاحظ على البحوث المعتمدة قلة الاستفادة من النظريات التقليدية على الرغم من عدم كفايتها لمعالجة ظواهر البيئة الرقمية وغياب لنظريات مستخدمة في بيئة الاتصال الرقمي مثل سوسيولوجيا الاستخدام / نظريات الفوضى نظريات التلقي في البيئة الرقمية.

ولعله من نافلة القول أن نشير إلى أن مشكلة المقترب النظري في البيئة الرقمية متعلقة بمختلف بحوث الاعلام والاتصال بشكل عام ومن ملامح ذلك أن التغيرات الجوهري التي طرأت على بنية الظاهرة الإعلامية كشفت عن عدم وجود مقولات نظرية تتسم بقدر من الاستقرار النسبي لتفسير الظواهر وتفاعلاتها، وهو ما يبرز عندما ينغلق البحث على أهداف وحدود الوصف دون تجاوزها إلى التفسير والتحليل أو تطبيق

الباحث لإطار نظري لا يتناسب وطبيعة الظاهرة المدروسة فضلا عن الخلل في توظيف العلاقة بين المنهج والنظرية (عبد المجيد 2013)

عدم الانتباه للسياق الثقافي والفكري للنظريات الاتصالية المستخدمة بشكل قد يتعارض مع أصالة الاتصال الدعوي

من أمثلة المقترب النظري الملائم نجد:

في موضوع تحول الدعوة الإسلامية من المساجد والقنوات الفضائية إلى البث المباشر على **يوتيوب وتيك توك** في إطار الحتمية التكنولوجية، كيف يتم تأطير قضايا الإسلاموفوبيا والدفاع عن الإسلام عبر الإعلام الرقمي ؟

-تحليل تفاعل الجمهور مع التغريدات على منصة إكس في إطار التفاعلية الرمزية /دراسة تأثير الضغط الاجتماعي في البيئة الرقمية على حرية التعبير عن القضايا الدينية في إطار دوامة الصوت وهكذا.

خلاصة:

ومن خلال ما سبق يمكن القول إن البحث في الاتصال الدعوي يحتاج تأكيدا وتحينا لأولوياته البحثية بما يخدم الفرد والمجتمع المسلم وبما يحقق الغاية منه كما أنه يحتاج إلى ضرورة استخدام أدوات البحث الملائمة للبيئة الرقمية سواء مناهج وأدوات نوعية أو تلك التي تعتمد على المناهج والأدوات الحاسوبية التي من شأنها أن تحدث قفزة نوعية في جودة البحوث، وذلك في سياق مقترب نظري مناسب، هذه النظريات توفر إطارا نظريًا قويا لفهم كيفية تطور الاتصال الدعوي في البيئة الرقمية، وتأثير وسائل التواصل الاجتماعي والتقنيات الحديثة على نشر الخطاب الإسلامي والتفاعل معه. يمكن للباحثين استخدامها في تحليل التوجهات الجديدة للخطاب الدعوي الرقمي استراتيجيات التأثير، والتحديات التي تواجه الدعوة الإسلامية عبر الإنترنت.

قائمة المراجع:

-إلهامي، حسام ،وآخرون اتجاهات وتيارات البحث في الإعلام الجديد نحو بناء أجندة بحثية مقترحة مناهج البحث في الاعلام الجديد شركة الوابل الصيب 2013.

-عبد المجيد مها مدخل إلى إشكالية النظرية في بحوث الاعلام الجديد مناهج البحث في الاعلام الجديد، شركة الوابل الصيب 2013.

-لطفي دكاني، البعد الأخلاقي والحضاري في الاعلام الإسلامي مجلة روافد للبحوث والدراسات، ع3، جامعة غرداية، 2017.

-المحمودي محمد سرحان علي مناهج البحث العلمي، ط3، دار الكتب، صنعاء، 2019.

-حمدي، محمد الفاتح وآخرون، نظريات الاتصال في البيئة الرقمية، ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع، 2024.

-عدوي، عبد الله مدخل إلى الاتصال الدعوي، آمنة للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2020.

-بن سعيدي، سهام الاتصال الدعوي المعاصر في ضوء التجديد مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية م 6 ، ع1، 2002.

-هواري سميرة الوظيفة الدعوية الإعلامية للاتصال في القرآن الكريم، المعيار، مج22، ع44، قسنطينة 2018.

-عبد العالي، باي زكوب وطرشاني، ياسر محمد عبد الرحمن وسائل الاعلام في ضوء التربية الإسلامية دراسة قرآنية مقاصدية مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، مج1، ع1، 2017.

-العتيبي، خالد بن بن عواض الجعيد، مقاصد الشريعة والاعلام.

-لعياضي، نصر الدين مناهج البحث في علوم الاعلام والاتصال في السياق الرقمي خلاف واختلاف، مناهج الحث في علوم الاعلام والاتصال المشكلات النظرية والتطبيقية مركز الجزيرة للدراسات، 2023.

مقاصد القرآن الكريم والتعليم
في كتاب تفسير تحرير التنوير لمحمد الطاهر بن عاشور

د. لبنى خشة

المقدمة:

للقرآن الكريم خصائص ومزايا لم يحظ بها كتاب غيره من الكتب المنزلة، ومهما صعد الناظرون، وارجعوا ابصارهم، فإن ما يحصونه من تلك المزايا، وما يقفون عليه من تلك الخصائص هو مما غاب ضمن عظيم أسراره، كرذاذ المد من عتي أمواج البحر، وذلك على كثرة ما رأوا، وجمال ما اطلعوا عليه.

ومع امتداد الزمن وتعدد أيامه تتوارد الأنظار، وتكثر الأقلام، فتتقاطع الأفكار وتتفق أحيانا، ويقع الخلاف فيما يدون أحيانا أخرى، بحسب مواقع النظر، ومواضع الرؤية، لكن المتفق عليه من دون خلاف، أن القرآن الكريم هو كتاب الله الخاتم لرسالاته، الذي نص منهاجه الدائم على اصلاح المخلوقات، وتقويم اتجاه سيرهم، فرادى كانوا أو مجتمعين، فهو المعجزة الكبرى الخالدة ما دامت السماوات والأرض، لا تنقضي عجائبه، ولا يضل طالبه تعهده الله بالحفظ والرعاية قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [1].

وقد جمع القرآن الكريم ما تفرق في الكتب السابقة من أحكام كريمة ووصايا عظيمة، فحمل كثيرا من تفاصيل الحياة القديمة تصريحا وتضمينا؛ بما عكس من العبر وما قدم من المواعظ، ولم يخل من اشارات كونية، ولمحات قدسية، لمن يرغب من أهل التدقيق والتدبر، كما استوعب ما ظهر من حوادث جديدة في الحياة البشرية الحديثة، من بيان أصول الدين وأحكام الشريعة، وركائز الآداب والأخلاق وخصوصية العلم واعجاز تفاصيله، فكان كتابا جامعا لكل علم وفن، مناسبا لكل روح ونفس، فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، فكان نسج لفظه من أبدع ألوان إعجازه، بما حوى هذا النظم قليل اللفظ ضمن هذا الفضاء كثير المعنى، وأبهر بعدم اكتفاءه بالكلي دون الجزئي، ولم يُجمل في موضع يقتضي التفصيل.

ولم يختصر في مقام يقتضي الاطناب والبيان، فأدهش وأعجز وأمتع حتى أعاد فيه العلماء النظر تلو النظر، فإذا به يكشف عن كليات تفاصيل ما يهم السامع، ويُجمل

[1] سورة الحجر، الآية 9.

الجزئيات على نحو لا يمل منه القارئ مرتبا في نسق مقاصدي مبهر، تسلّم فيه جزيئات النص لب المعنى، إلى الجزئيات التي تليها بإسهاب ممتع وإيجاز ،مقنع وبيان أرفع ما يمكن أن يكون سر ما عرف اصطلاحا بمقاصد القرآن، وهي بعيدا عن المفاهيم التعليمية الأهداف الكبرى التي ساق الله عز وجل النظم القرآني تبيانا لها....[1]

هذه المقاصد التي لم تبد في دراسات العلماء على نحو فني متخصص إلا بعد قرون من مطالعة القرآن الكريم على نحو تحليلي وموضوعي، بعد درس عميق لترابط موضوعاته وسور آياته تبع ذلك غوص وإيغال في استكناه كلياته، وحصر جزئياته، فظهر علماء من المتقدمين ومن المتأخرين كل يدلو بدلوه ويحاول تحديد وحصر كليات القرآن وجزئياته وخصوصية بيانه، في مقاصد من أجل الفهم، وتيسير فهم للأهداف الكبرى التي من أجلها نزلت هذه الرسالة وكانت ختاما لكل الرسائل الإلهية، ويكمن أن تختصر في عجالة أهم العلماء الذين كتبوا في هذا المجال:

ونذكر من المتقدمين؛ **أبي حامد الغزالي** (450 - 505هـ) في كتابه **جواهر القرآن،** جعل للقرآن مقصدا عاما هو الدعوة إلى الله، ثم بين أن المقاصد القرآنية الحصرت في ستة أنواع ثلاثة هي: السوابق والأصول المهمة، وثلاثة هي الروافد والتوابع المغنية المتممة، في حين جعلها **أبي محمد الحسين بن مسعود الفرّاء** (516) هـ) من خلال **تفسيره معالم التنزيل،** خمس مقاصد أساسية (ذكر المواعظ وأخبار الماضين وأحكام العقيدة والتذكير والتدبر، والتفكير والاعتبار).

وتجد **ابن جزي (أبو القاسم محمد بن احمد بن محمد بن عبد الله)** (741هـ) في مقدمة **تفسيره التسهيل لعلوم التنزيل،** تحت باب أسماه في المعاني والعلوم التي تضمنها القرآن، ميز بين مقصد عام (دعوة الخلق إلى عبادة الله) ومقصد تفصيلي (علم) الربوبية والنبوة والمعاد ،والأحكام والوعد والوعيد ،والقصص، أما **إبراهيم بن موسى الشاطبي** (790 هـ) في كتابه **الموافقات،** فقد جعلها ثلاث مقاصد؛ ضرورية، وحاجية، وتحسينية، وأجمل الضرورية في (حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ النسل، حفظ المال).

أما المتأخرين نذكر **محمد رشيد رضا** (1354هـ) في كتابه **الوحي المحمدي،** فيجمل مقاصد القرآن في عشر مقاصد، ذكرها في معرض تفسيره المطلع سورة يونس، وفصل فيها فصولا طويلة، في حين اختصر **عبد العظيم الزرقاوي** (1367هـ) في كتابه **مناهل العرفان** مقاصد القرآن في ثلاث مقاصد رئيسة.

[1] هيا ثامر مفتاح: مقاصد القرآن عند الشيخ ابن عاشور، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، العدد 29، 2011، ص 23.

أما **ابن عاشور** [1](1879-1973) فمقاصد القرآن عنده تتمثل في ثمان ،مقاصد، سيتم التفصيل فيها من . خلال هذه الدراسة، فما هي مقاصد القرآن عنده الطاهر بن عاشور؟ وما هي الأبعاد التربوية لهذه المقاصد؟ وما علاقة مقاصد القرآن بالتعليم؟ وما هي آثارها في العملية التعليمية؟

1- مفهوم مقاصد القرآن الكريم:

إن أول ما يجب أن يقف عنده الباحث هو بيان خصوصية المفاهيم سواء كانت لغوية أو اصطلاحية، من أجل الوصول إلى كنه المصطلحات وتحديد دلالتها، وأكثر المفاهيم التي تحتاج إلى توضيح هو مصطلح المقاصد.

أ- المقاصد لغة:

جاء في لسان العرب: «القصد: استقامة الطريق، قصد يقصد قصدًا، فهو قاصد، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي على الله تبيين **الطريق المستقيم، والدعاء إليه بالحجج والبراهين، " وَمِنْهَا جَائِرٌ"** أي ومنها طريق غير قاصد وطريق قاصد: سهل مستقيم (...) قال ابن جني: أصل "ق ص د" ومواقعها في كلام العرب **الاعتزام والتوجه والنهوض نحو الشيء،** على اعتدال كان ذلك أو حور (...) وإن كان قد يُخص في بعض المواضع **بقصد الاستقامة دون الميل»**[2].

ويذكر ابن فارس في مقاييس اللغة دلالة الجذر(ق ص د)يقول: «القافُ والصَّادُ والدال أصول ثلاثة، يدل أحدهما على إتيان شيء وأمه، والآخر على اكتناز في شيء، **فالأصل:** قصدته قصدا ومقصدا، من الباب: أقصده السهم، إذا أصابه فقتل مكانه، وكأنه قيل ذلك لأنه لم يحد عنه (...) **والأصل الآخر** قصدتُ الشيء كسرته، والقصدة: القطعة من الشيء إذا كسرت (...) **والأصل الثالث:** الناقة القصيد؛ المكتنزة الممتلئة لحما (...) لذلك سميت القصيدة من الشعر قصيدة، لتقصيد أبياتها، فلا تكون أبياتها إلا تامة الأبنية»[3].

وفي معجم المعاني الجامع: «المقصد اسم مفرد والجمع مقاصد: مصدر ميمي من قصد، والمقصد **موضع القصد** ومنها قصَدَ إلى، وقَصْد في وقصد ل: قصد واتجاه (...) والمقصد: اسم مكان من قصد، (...) مَقْصِدي مكة" غاية، فحوى "مقصدي من

---

[1] *محمد الطاهر ابن عاشور (1296هـ - 1393هـ / 1879م-1973م) علم وفقيه تونسي، وصلت مؤلفاته إلى الأربعين مؤلفا، ومن اجلها كتابه "التحرير والتنوير في التفسير" وكتابه "مقاصد الشريعة الإسلامية"، وكتابه "حاشية التنقيح للقرافي"، و"أصول العلم الاجتماعي في الإسلام"، و"الوقف وآثاره في الإسلام"، و"نقد علمي لكتاب أصول الحكم"، و"كشف المعطر في أحاديث الموطأ"، و"التوضيح والتصحيح في أصول الفقه"، و"موجز البلاغة"، و"كتاب الإنشاء والخطابة"، و"شرح ديوان بشار وديوان النابغة"... إلخ. ولا تزال العديد من مؤلفات الشيخ مخطوطة منها: مجموع الفتاوى، وكتاب في السيرة، ورسائل فقهية كثيرة https://ar.wikipedia.org/wiki/

[2] ابن منظور: لسان العرب، ت: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1041هـ - 1981م، ص 3642 مادة (قصد).

[3] بن فارس (أحمد بن زكريا أبو الحسين): مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، سوريا، المجلد 5، 1399هـ - 1979م، صص 96-95 مادة (قصد).

فعل كذا مساعدته مقاصد الكلام ما وراء السطور أو ما بينها **ومقاصد الشريعة**: الأهداف التي وضعت لها»[1]، من خلال هذه الأقوال يتضح أن الجذر اللغوي (ق ص د) يحيل إلى التوجه، وموضع القصد، والطريق المستقيم، ومنها يمكن أن نستنتج معنى لغويا للمقاصد وهي المواضع والاتجاهات التي سطرت لها، والأهداف المرجوة منها».

ب: المقاصد اصطلاحا:

عرفها الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بقوله: «مقاصد التشريع العام: هي المعاني والحكم للملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها العامة، والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضاً معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها»[2].

ويعرفها **العز بن عبد** السلام في كتابه **"قواعد الأحكام في مصالح الأنام"** وقد صاغ فيه فكرته المحورية حول المقاصد، والتي تدور حول « بيان مصالح الطاعات والمعاملات وسائر التصرفات الشرعية ليسعى العباد في تحصيلها، وبيان مقاصد المخالفات، ليسعى العباد في درئها، وبيان ما يقدّم من بعض المصالح على بعض، وما يؤخر من بعض المفاسد على بعض، وبيان ما يدخل تحت اكتساب العبيد دون ما لا قدرة لهم إليه، والشريعة كلها مصالح، إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح»[3]، فالمقاصد من خلال المفاهيم السابقة هي؛ المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، وهي أيضا؛ المعاني والحكم ونحوها التي راعاها الشارع في التشريع عموما وخصوصا من أجل تحقيق مصالح العباد، هذه المعاني والحكم اجتمعت في معناها العام وفي أصل شارعها، واختلفت في تعدادها وتحديد اتجاهاتها، ومن بين العلماء الذين تحدثوا عن هذه المقاصد محمد الطاهر بن عاشور في كتابه تحرير التنوير من التفسير، وقبل أن نتحدث عن المقاصد نحاول أن نعرف محتوى الكتاب ومنهجه في الدراسة.

2- كتاب التحرير والتنوير من التفسير للطاهر ابن عاشور:

أ-التعريف بالكتاب: كتاب "التحرير والتنوير" كتاب ألفه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور -رحمه الله واسماه **"تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير**

[1] معجم المعاني الجامع: مادة (مقصد) https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/
[2] محمد الطاهر ابن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس الأردن، ط2، 1421هـ - 2001م، ص 51.
[3] بن عبد السلام (أبو محمد عز الدين عبد العزيز:) قواعد الاحكام في مصالح الأنام، دار الكتب الازهرية، القاهرة، مصر، 1414ه-1991م،ج1،ص10.

الكتاب المجيد"، واختصره في اسم **"التحرير والتنوير من التفسير"**، وتم تداول تسميته **"تحرير التنوير"**، يقع في ثلاثين جزءا، في أحد عشر ألفا ومائة وسبعة وتسعين ورقة، مكتوبة بالخط الصغير، ولو كتبت بالخط المتوسط لكانت عدد الصفحات أكثر ، طبع عن دار الكتب الشرقية، وأخرى عن الدار التونسية للنشر، وهذه الأخيرة طبعة جيّدة وأوراقها من النوع الرقيق والرفيع.

ب-منهج الكتاب: جعل الشيخ ابن عاشور لكتابه "التحرير والتنوير" عشر مقدمات، تناول في كل مقدمة علما من العلوم التي جعلها هديه ومنهجه في التفسير وهي:

المقدمة الأولى؛ في التفسير والتأويل وكون التفسير علما من ص-ص 10-17.

المقدمة الثانية؛ في استمداد علم التفسير، ص- ص 18-27.

المقدمة الثالثة؛ في صحة التفسير بغير المأثور ومعنى التفسير بالرأي ونحوه، ص-ص 28-37.

المقدمة الرابعة؛ فيما يحق أن يكون غرض المفسر ، ص- ص 3-45 (تحدث فيها عن مقاصد القرآن، وعلاقتها بالعلوم).

المقدمة الخامسة؛ في أسباب النزول، من ص-ص46-50.

المقدمة السادسة؛ في القراءات، من ص-ص 51-63.

المقدمة السابعة؛ قصص القرآن، من ص-ص 64-69.

المقدمة الثامنة؛ في اسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها واسمائها، من ص-ص 70-92.

المقدمة التاسعة؛ في أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن، تعتبر مرادة بها، من ص-ص93-100.

المقدمة العاشرة؛ في إعجاز القرآن ومبتكرات القرآن وعادات القرآن، من ص-ص101-103.

3: مقاصد القرآن عند محمد الطاهر بن عاشور في كتاب التحرير والتنوير من التفسير

قال محمد الطاهر بن عاشور : « إنّ القرآن أنزله الله تعالى، كتابا لصلاح أمر الناس كافة، ورحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم، قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1]، فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال

[1] النحل:89.

الفردية والجماعية والعمرانية فالصلاح الفردي يعتمد تهذيب النفس وتزكيتها، ورأس الأمر فيه صلاح الاعتقاد، لأن الاعتقاد مصدر الآداب والتفكير، ثم صلاح السريرة الخاصة، وهي العبادات الظاهرة كالصلاة، والبطانة كالتخلق، بترك الحسد والحقد والكبر، وأما الصلاح الجماعي فيحصل أولا من صلاح الفردي، إذ الأفراد أجزاء المجتمع، ولا يصلح الكل إلا بصلاح أجزائه، ومن شيء زائد على ذلك هو ضبط تصرف الناس بعضهم مع بعض على وجه يعصمهم من مزاحمة الشهوات ومواثبة القوى النفسانية، وهذا هو علم المعاملات، ويعبر عنه الحكماء بالسياسة المدنية، وأما العمراني فهو أوسع من ذلك، إذ هو حفظ نظام العالم الإسلامي...»[1]، ومن خلال هذا القول يمكننا أن نقسم مقاصد القرآن عند محمد الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير من التفسير إلى ثلاث أقسام رئيسة؛ هي الصلاح الفردي، الصلاح الجماعي، والصلاح العُمراني، ويتدرج عن هذه الأقسام، أقسام فرعية ذكرها صاحب التحرير والتنوير، قال: «أليس قد وجب على الآخِذ في هذا الفنّ أن يعلم المقاصد الأصلية التي جاء القُرآنُ لتبيانها، فلنلم بها الآن بحسب ما بلغ إليه استقراؤنا، وهي ثمانية أمور»[2].

1-إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصَّحيح : وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق؛ لأنَّه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل، ويُطهر القلب من الأوهام الناشئة عن الإشراك والدَّهرية وما بينهما، وقد أشار إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾[3].

2-تهذيب الأخلاق: قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[4] ، وفسرت عائشة رضى الله عنها- لما سئلت عن خلقه فقالت: كان خُلقه القرآن وفي الحديث الذي رواه مالك في الموطأ بلاغا أن رسول الله ، قال: «بعثت لأتمم مكارم حسن الأخلاق».

3- التشريع: وهو الأحكام خاصة وعامة، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾[5]، وقد جمع القرآن جميع الأحكام جمعا كافيا في الغالب، وجزئيا في المهم، فجاء قوله تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[6] فلم يترك شاردة ولا واردة من الأحكام العامة والخاصة إلا أشار اليها وأوضحها ومن ثمة جاء قوله: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[7]، المراد بهما إكمال الكليات التي منها الأمر بالاستنباط

[1] محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير من التفسير ، الدار التونسية للنشر تونس الكتاب الأول، 1984م، ص 39.
[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
[3] سورة هود الأية 101.
[4] سورة القلم الأية 4.
[5] سورة النساء الآية 105
[6] سورة النحل الآية 89
[7] سورة المائدة الآية 3.

والقياس، وحين تتضح خصوصية التشريع يمكن للإنسان سياسة الأمة بما ينص به التشريع وبما نص عليه الشارع.

4-سياسة الأمة: وهو باب عظيم في القرآن، القصد منه صلاح الأمة، وحفظ نظامها؛ كالإرشاد إلى تكوين الجامعة، لقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾[1]، وقوله ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[2]، وقوله: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[3].

5- القصص وأخبارُ الأُمم السَّالفة للتَّأسِّي بصالح أحوالهم: جاء القرآن الكريم في كثير من السور والآيات حاملا لقصص الأنبياء، وأخبار الأمم السابقة، وهو مقصد بقدر ما كان الغرض منه التدبر، كان الغرض منه التعليم أيضا، قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[4].

6- التعليم بما يُناسب حالة عصر المُخاطبين: إن التعليم بما يناسب حالة المخاطبين وجهة تؤهل المتعلمين إلى تلقي الشريعة ونشرها؛ وذلك علمُ الشَّرائع وعلمُ الأخبار، وكان ذلك مبلغ علم مُخالطي العرب من أهل الكتاب، وقد زاد القرآن على ذلك تعليم حكمة ميزان العقول وصحة الاستدلال في أفانين مجادلاتها للضالين وفي دعوته إلى النظر، ثم نوّه بشأن الحكمة فقال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[5]، وهذا أوسع باب انبجست عنه المعارف، وانفتحت به عيون الأميين إلى العالم، وقد لحق به التنبيه المتكرر على فائدة العلم.

7- المواعظ والإنذار، والتَّحذيرُ والتَّبشير: وهذا موضع يجمعُ جميع آيات الوعد والوعيد، وكذلك المحاجة والمجادلة للمعاندين، وهذا بابُ التَّرغيب والترهيب، وفيه آيات كثيرة من الكتاب المبين دالة عليه.

8- الإعجاز بالقُرآن: أما الاعجاز بالقرآن فهو آية دالة على صدق الرسول ، إذ التصديق يتوقف على دلالة المعجزة بعد التحدي، والقُرآنُ جمع كونه معجزة بلفظه، ومُتحدى لأجله بمعناه، والتحدي وقع في قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾[6]، ويختم ابن عاشور حديثه قائلا: «وهذا ما بلغ إليه استقرائي، وللغزالي في إحياء علوم الدين، بعض من ذلك...»[7].

---

[1] سورة آل عمران الآية 103.
[2] سورة الانفال الآية 46.
[3] سورة الشورى الآية 38.
[4] سورة يوسف الآية 3.
[5] سورة البقرة الآية 269.
[6] سورة يونس الآية 38
[7] محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير من التفسير، المرجع نفسه، ص ص 40-41-42 (بتصرف).

4- الأبعاد التربوية[1] لمقاصد القرآن الكريم :

ولمقاصد القرآن عند صاحب التحرير والتنوير أبعاد دينية شرعية وأبعاد دنيوية توجيهية تربوية، يمكن أن نجملها في خمسة أبعاد هي:

أ-البعدُ العقدي: والذي نستشفه من المقصد الأول **"إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح"**، ذلك أن القرآن الكريم أنزل لتصحيح العقيدة، وتخليص النَّاس من الشرك والخرافات التي تهدم العقل ولا تُشكله، والعقل مسرح كبير ينبغي للمدرس أن يشتغل عليه، وخصوصا في هذا الزمن الذي تُدّس فيه أمورٌ غريبة تستهدف عقول أبنائنا من دون أن يشعروا بها، وأن يجعل كل عمل يقوم به المرء عبادة وتقربا إلى الله تعالى، وهذا ما تفردت به هذه الأمة عن غيرها من الأمم؛ لأنَّ السَّبب الذي خلق من أجله الإنسان هو العبادة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2].

ب-البعد الأخلاقي السلوكي: القرآن الكريم في بحمله يحمل قيما أخلاقية تربوية تُسدِّدُ العقل البشري، وتجعله دائما يقظاً واعيا في تشكيل لحمةٍ متواصلة ذات أبعاد سلوكية، بغرض توطيد العلائق البشرية في هذا الكون، قال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ ﴾[3]، والأخلاق والكرامة مما ينبغي الحرص على تعلمها واقتفاء سُبُلها، وقد كان خُلُقُ الرسول صلى الله عليه وسلم "القرآن"؛ لما فيه من القيم الربانية التي تزكي النفس وتطهر القلب من الدنس ،والأوحال، فنتج عن ذلك الرَّبط بين العلم والعمل، والمزج بين الفعل والقول، وألا يخالف أحدهما الآخر، قال الشاطبي - رحمه الله - في قاعدته المشهورة: "كلُّ مسألة لا ينبني عليها عمل، فالخوض فيها خوض فيما لم يدل على استحسانه دليل شرعي، وأعني بالعمل: عمل القلب وعمل الجوارح، من حيث هو مطلوب شرعا"[4].

ج -البعد العلمي التعليمي: يراعي القرآن الكريم في مقاصده مخاطبة الناس بحسب عصرهم، ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ﴾[5]،فهو المعجزة المتجددة التي لا تبلى ولا تتناثر ؛ وقد أوضحت السُّنَّة النبوية الأمر تفسيرا وبيانا؛ فالقرآن هو : «كتاب الله، فيه نبأ من قبلكم، وخيرُ من بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، ما تركه من جبَّارٍ قصمه الله، ومن ابتغى الهدى-أو قال العلم- في غيره أضلَّه الله، وهو حبك الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلَقُ على كثرة الرد، ولا تنقضي

---

[1] البعد في اللغة اتساع المدى، ونقصد بالأبعاد التربوية هنا الجوانب التي تبرز امتداد مقاصد القرآن في النظرية التربوية التعليمة، والمعالم المهمة في هذا الامتداد، وبمعنى آخر المدى الواسع الذي تمتد من خلاله مقاصد القرآن للعملية التعليمية والتربوية، بمفاهيمه ومضامينه.

[2] سورة الذاريات الآية 56.

[3] سورة الحجرات الآية 13

[4] الشاطبي (أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بم محمد اللخمي ت 790هـ): الموافقات، تقديم بكر بن عبد الله أبو زيد، ضبط نصه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان دار ابن عفان المجلد ،1 المقدمة الخامسة، 1997م، ص 43.

[5] سورة الأنعام الآية 38

عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ ﴿ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾[1]، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم»[2]، والقرآن كله إنما جاء ليعلم الإنسان أمور دينه وتعاملاته، فمن علم علمه كان له الحظ الأوفر وحظوة السبق والفوز.

د -البعد الفني التعليمي: وهي ما يسمى أيضا بالبعد البيداغوجي [3] الديداكتيكي[4]، ويمكن استخلاصه من القرآن الكريم الذي يعد منظومة علمية، أوحاها الله تعالى من فوق سبع سموات؛ حملها جبريل عليه السلام، إلى قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ليبلغه للناس على قدر عقولهم، وقد أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، وترك الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، وجعل من منهجه طريقا للعارفين قصد تبليغ هذا الدين إلى الناس عامة بمختلف مستوياتهم، وهذه المستويات هي درجات كل فرد في الفهم والإدراك، وفي صحيح البخاري باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن يفهموا، قال الله علي رضي الله عنه : «حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يُكذَّب الله ورسوله ؟»[5]، فصيغة الخطاب ينبغي أن تستحضر عند تبليغ القرآن من كُلِّفوا بمعرفته ضبطا وفهما وتنزيلا؛ بحسب مراقي عقليتهم النفسية والاجتماعية.

هـ-البعد العملي: الغرض من نزول القرآن هو العمل به، أي: تطبيق الأثر القرآني في الحياة اليومية من جهة القول؛ بالترتيل والتلاوة، والتدبر والتعقل، ومن جهة الفعل؛ بالامتثال والتطبيق؛ وذلك مجال الفقه، والمنهج القرآني إنما غرضه الهداية والرحمة، وجلب المصالح ودفع المفاسد، وأما «الشريعة فمبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكلُّ مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشَّريعة، وإن أدخلت فيها بالتأويل؛ فالشريعة عدلُ الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه، وعلى صدق رضي الله عنه ، أنتم دلالة وأصدقها، وهي نوره الذي به أبصر

---

[1] سورة الجن الآية 1.

[2] البيهقي (أبي بكر أحمد بن الحسين شعب الإيمان؛ فصل في تعاليم القرآن، من تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1410هـ، رقم الحديث 1788، ص408 (رواية الحديث عن علي كرم الله وجهه)، وقد ذكره السيوطي في كتابه الاتقان في علوم القرآن المجلد 4، ص12، كما ذكره الموسوي (أبو القاسم بن علي أكبر الخوئي) في كتابه البيان في علوم القرآن، ص19.

[3] البيداغوجيا (Pedagogy La pédagogie) هو فن التدريس، ويجمع المصطلح بين طرق التدريس والممارسات المطلوبة لنقل المعلومة وفق ما يتناسب مع عقول (المتلقين) (المعرفة) وثم الدراية الفنية (المهارات)، ثم التركيز على مهارات التعامل مع الآخرين (المواقف).

[4] الديداكتيك (The didactic Le didactique ما يعادل مصطلح التعليم، وهو دراسة الأسئلة التي يطرحها التدريس واكتساب المعرفة في المواد الدراسية المختلفة، حيث تعمل الوسائل التعليمية بعد ذلك على تحويل ما يسمى بالمعرفة "المفيدة" إلى معرفة "قابلة للتعليم".

[5] البخاري (أبي عبد الله محمد بن اسماعيل) صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، سويا، بيروت، لبنان، ط1، 1423هـ - 2002م، ص 45 رقم الحديث ،12، وذكره أيضا علاء الدين علي بن حسام فوري كنز العمال من سنن الأقوال والأفعال، رقم الحديث 29318، وورد بصيغ متعددة، بما يفهمون، أي على قدر مقولهم. وفي رواية أخرى: "كَلِّمُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ وَدَعُوا مَا يُنْكِرُونَ أَتُرِيدُونَ أَن يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ؟"

المبصرون وهداه الذي به اهتدى المهتدون وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل »[1].

5- علاقة العلوم بالقرآن ومقاصده

ختم بن عاشور، المقدمة الرابعة بحديثه عن علاقة العلوم بالقرآن ،ومقاصده هي على أربع مراتب كالآتي:

الأولى: علوم تضمنها القرآن؛ كأخبار الأنبياء والأمم، وتهذيب الأخلاق والفقه والتشريع والاعتقاد، وأصول العربية والبلاغة.

الثانية: علوم تزيد المفسر علما؛ كالحكمة والهيأة وخواص المخلوقات.

الثالثة: علوم أشار إليها أو جاءت مؤيدة له؛ كعلم طبقات الأرض والطب والمنطق.

الرابعة: علوم لا علاقة لها به، إما لبطلانها كالزجر والعيافة والميثولوجيا، وإما لأنها لا تعين على خدمته كعلم العروض والقوافي.

وتعد هذه المراتب الأربعة بما اشتملت عليه، محتوى تعليميا متكاملا، لها أسس ومادة علمية منظمة، يهتم كل اختصاص بما يناسبه، من خلال تبنيه وجهة معينة ونظاما محددا يسير وفقه، لكن الملاحظ هو تقاطع بعض المراتب واشتراكها في بعض المحتويات التي تخدم أكثر من تخصص، كالمرتبة الأولى والثانية، والمرتبة الثانية والثالثة، نظرا لتداخل العلوم وتكاملها.

6- أثر الأبعاد التربوية لمقاصد القرآن الكريم في التعليم أو العملية التعليمية:

يحتل التعليم المكانة الكبرى في مسالك النهضة وأسبابها لذلك جاء القرآن مركزا على العلم والتعلم في أكثر من آية «ولما كان العلم للعمل قرينا وشافعا، وشرفه لشرف معلومه تابعا كان أشرف العلوم على الاطلاق علم التوحيد، وأنفعها علم أحكام العبيد»[2]، والمقصود بعلم التوحيد، علم العقيدة والذي جعله ابن عاشور أول المقاصد **"إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصَّحيح"**، في حين علم الأحكام **هو علم التشريع**، وما سياق هذا القول في هذا المقام إلا لاقتران العلم بالعمل، وما العملية التعليمية أو التعليم بصفة عامة إلا تيسير للعلم وتفسير له وتبسيط لمفاهيمه كي يتسنى العمل ويسهل، وقبل هذا وذاك سنحاول تفسير بعض المفاهيم.

أ- مفهوم التعليم:

[1] ابن القيم الجوزية: إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: أبو عبيدة بن حسين آل سلمان دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية، ط1،1423هـ، ص 41.
[2] ابن القيم الجوزية: إعلام الموقعين عن رب العالمي، المرجع نفسه، ص8.

يعرف (ميكانديس Meccandess) التعليم بأنه: اكتساب المهارات الجديدة، وإدراك الأشياء والتعرف عليها، عن طريق الممارسة، بما في ذلك تجنب بعض أنماط السلوك التي يتضح للكائن الحي عدم فعاليتها أو ضررها»[1]، وفي هذا المفهوم جمع بين اكتساب المهارة في التعليم وممارستها بالعمل والتطبيق وهما عمليتان متلازمتان.

وعرف (ود ورث . Wood Worth) التعليم بأنه « النشاط الذي يمارسه الشخص والذي يؤثر على سلوكه مستقبلا»[2]، وهذا يعني أن التعلم يقوم أساسا على إيجابيات الفرد وتفاعله مع البيئة التي يعيش فيها، وعن طريق هذا التفاعل يتوصل الإنسان إلى طرق جديدة.

أما التعليم في رأي ابن عاشور فهو: ترقية المدارك البشرية وصقل الفطر الطيبة؛ لإضاءة الإنسانية وإظهارها في أجمل مظاهرها، فيخرج صاحبها عن وصف الحيوانية البسيط وهو الشعور بحاجة نفسه خاصة إلى ما يفكر به في جلب مصلحته ومصلحة غيره بالتحرز عن الخلل والخطأ بقدر الطاقة، وبحسب منتهى المدنية في وقته»[3]، وهو بذلك يؤصل فكرة كون التعليم فطرة إنسانية، تعمل على ترقية مدارك الإنسان من أجل أن يظهر في أجمل مظاهره، وهو هنا يحيلنا إلى ترقية الإنسان للوصول إلى أخلاق عالية، وبقدر ما في العلم من رقي، فيه من التواصل مع غيره من أجل التأقلم البيئي والتواصل الإنساني الصحيح، يقول: «على أنّ الانسان خُلق بطبعه مُعلِّما، بمعنى أن في طبيعته حبّ إيصال معلوماته إلى غيره لما فطر عليه من التأنس، ومن الميل إلى التعبير عما يجده، وهو أصل فطرة النطق»[4]، فالتعليم عملية تبدأ مع نطق الانسان وتستمر مدى الحياة، سواء كان مقصودا أو غير مقصود، وأن الهدف منه هو التأقلم مع البيئة وفهمها والسيطرة عليها في أحيان كثيرة .

ويسوق ابن عاشور مثالا عن التعليم الصحيح وفق ما وصف (أفلاطون قال: «التعليم الصحيح هو موسيقى النفس ورياضة البدن، وإن حسن السلوك فرع منها (...)»[5]، كما أبان شدة تأثير العشير في أخلاق الصغار، ورأى وجوب تربيتهم في حظائر صالحة لكيلا يشبوا على مخالطة الشر نفوسهم، وأنه لا يجب أن يروا الرذيلة ولا يسمعوا بها، وأن الغرض من التعليم ترقية الفضيلة، وهو أول الأشياء وأجملها، فالتعليم الصحيح يرمي إلى إنشاء أرقى أصناف الناس من كل من تمرس بالأشغال والأعمال، أو رُزق المواهب الحسنة ورغب في سلوك خير السبل، وشغف بالمعرفة وامتاز بحب الواجب والتعقل بحسب ما يرى ابن عاشور - وليس «العلم رموزا تحل

[1] رمضان القذافي: نظريات التعلم والتعليم، الدار العربية للكتاب، بيروت ،لبنان، ط2، 1981، ص ص 12-13.
[2] سهيلة محسن كاظم الفتلاوي: مدخل إلى التدريس، دار الشروق لنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2003، صص 29-30.
[3] محمد الطاهر ابن عاشور مقاصد الشريعة الإسلامية، المصدر نفسه، ص 33.
[4] المصدر نفسه، ص-ص 33-34.
[5] محمد الطاهر بن عاشور: أليس الصبح بقريب التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إسلامية دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، القاهرة، مصر، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1427هـ - 2006م، ص 10.

ولا كلمات تحفظ ولا انقباضا وتكلفا، ولكنه نور العقل واعتداله، وصلوحيته، لاستعمال الأشياء فيما يحتاج إليه منها ، فهو استكمال النفس وتطهر العقل، والتأهل للاستفادة والإفادة، وما كانت العلوم المتداولة بين الناس إلا خادمة لهذين الغرضين وهما؛ ارتقاء العقل لإدراك الحقائق، واقتدار صاحبه على إفادة غيره بما أدركه هو »[1] ، وإذا كان العلم هو ترقية المدارك البشرية أو ترقية الفضيلة، فما هي التعليمية؟

ب-مفهوم التعليمية:

اختلف العلماء والقائمون على تطوير العملية التعليمية في تعريفهم لها حيث ينظر لها:

أنها عملية تنظيمية للإجراءات التي يقوم بها المعلم داخل غرفة الدرس، وخاصة لدى عرضه للمادة الدراسية وتسلسله في شرحها»[2]، العملية التعليمية في جوهرها ما هي إلا عملية تنظيم للمحتوى التعليمي أو محتوى المادة

المدروسة، والتي غالبا ما تأخذ شكل التسلسل الهرمي في تدرج توصيل المعرفة للطالب، ويمكن التمثيل لها وفق ما قدمه (بنجامين بلوم Benjamin Bloom)[3] ، في الشكل الموالي يوضح التسلسل الهرمي للعملية التعليمية وفق تدرج مراحلها:

[1] المصدر نفسه، ص-ص 7-8.
[2] افنان نظير دروزة: النظرية في التدريس وترجمتها، دار الشروق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر ، ط1، 2007، ص 44.
[3] بنجامين بلوم (221 فيفري 1913-13 سبتمبر 1999) عالم نفس تربوي أمريكي قام بوضع تصنيف للأهداف التربوية، ولنظرية اتقان التعلم.

الشكل 1- التسلسل الهرمي للعملية التعليمية

يقول ابن عاشور: «وقد انقسمت العلوم إلى عملية ونظرية (...) فيجب أن نطلب في العلم العملي؛ مبلغ عمل التلميذ به، وفي النظري؛ مبلغ فهمه فيه» [1]، فالتعليم يحتاج إلى (**المعرفة أو محتوى تعليمي**) التي تساق وفق ما يتناسب مع عقول المتلقين، وبالتالي نصل إلى مستوى **(الفهم)** والذي يخص الجانب النظري كما أحال إليه ابن عاشور -والذي يتدرج فيه المتعلم ليصل إلى الدراية الفنية والتي تسمى **(المهارات)**، ومن خلال المهارة يمكن للمتعلم تطبيق المعرفة التي تلقى تفاصيلها، وهذا يخص الجانب العملي كما أحال إليه ابن عاشور - ومع ممارسة التطبيق يمكن للمتعلم أن يحلل المعلومة أو المعرفة، ثم إن التركيز على مهارات التعامل مع الآخرين **(المواقف)** يمنح المتعلم القدرة على ترتيب المواقف والحالات، وفق تسلسل تصاعدي كلّما تقدم في المعرفة أكثر، أو تدرج في مستويات العلم أكثر، ليصل إلى أعلى قمة في التسلسل الهرمي، والتي يجمع فيها بين المعرفة وفهمها وتطبيقها وتحليلها وترتيب تفاصيلها وتقويمها، وفق ما تحصل عليه من مخزون معرفي علمي، عبر مراحل تدرجه.

ودعا ابن عاشور إلى دعم العملية التعلمية بالأصول الأخلاقية المثلى التي تهذب نفوس المدرسين والدارسين على حد سواء، وطريق ذلك كما رسمه في خطته هو: «التدريب على ضروب الحكمة، ونقد مقتضيات الزمان، وعلو الهمة، والغيرة للحق، والترفع عن سخائف المطامع، وعن ضيق الصدر الذي ينشأ عنه الحسد والظلم والخصام، والتلفي من كل ما يخالف المقصد، والإقدام، والحزم، وأصالة الرأي، وحب النظام في جميع أحوال الحياة، وعدم معاداة القوانين، والعمل، وحب التناسب في المظاهر كلها، وإدراك الأشياء على ما هي عليه، والتباعد عن الخفة والطيش، وعن الجمود والكسل، وسوء الاعتقاد، والأمور الوهمية، بحيث يكون العدل في جميع الأشياء صفة ذاتية لهم»[2]، فإذا كانت هذه هي الأصول الأخلاقية للعملية التعليمية، فما هي أطراف العملية التعليمية؟ أو ما هي عناصرها؟

ج- عناصر العملية التعليمية:

تتضمن العملية التعليمية مجموعة من العناصر والمهام التي تقوم فيما بينها علاقات تفاعلية، بحيث تشكل في النهاية نظامنا تربويا تعليميا متكامل اللبنات للوصول إلى تحقيق أهداف المنظومة التربوية التعليمة، وكذلك لتهيئة جيلا متعلما يساير ركب

[1] محمد الطاهر بن عاشور: أليس الصبح بقريب، المصدر نفسه، ص 208.
[2] ناجي فرج التكوري: ملامح الإصلاح التربوي في تفسير ابن عاشور، مجلة أصول الدين الجامعة الأسمرية الإسلامية، ليبيا، ص-ص 66-67.

التطور العلمي والثقافي قادرا على خدمة مجتمعه، وطامحا إلى مستقبل زاهر مملوء بالإنجازات والنجاحات، لذلك تعد العملية التعليمية مجموعة من المواقف والأنشطة الصادرة عن المدرس وعن التلاميذ، ولكنها ترتبط بكيفية منطقية منتظمة إلى الحد الذي يمكننا أن تنبأ بحدوثها في كثير من الأحيان، وترتكز في مجملها على عناصر أساسية أهمها العلم نفسه، والإنسانية في التعامل مع الطالب لإكسابه المهارات اللازمة التي تساهم في بناء شخصيته، ومعرفة تمكنه دخول معترك الحياة، ومواجهة تقلباتها، وتتكون العملية التعليمية من عدة عناصر تعد أساسا لنجاحها وهي كالتالي :

الشكل 2- عناصر العملية التعليمية

1- المعلم: يرى ابن عاشور أن هناك غايات للمشتغلين بالتعليم يتحصلون عليها من مزاولته سواء أكانت هذه الغايات دينية أم دنيوية، لكن الغاية الأسمى والمقصد الأعظم في نظره هو إنتاج قادة للأمة في دينها ودنياها وهداة هم مصابيح إرشادها، ومحاصد قنادها، ومهدئو نفوسها إذا أقلقها اضطراب مهادها»[1].

يقول ابن عاشور: «إن التعليم لا يدخل تحت البحث والقواعد لأنه متوقف أكثره على المعلم لا على القواعد الفنية، فلا يمكن سن القوانين له لئلاً يوضع المعلم في غير موضعه، ويوكل إليه ما لم يجعل له، ويحرم الفرص من استخدام مواهبه الشخصية، فالرأي السائد بين أهل النظر أن تعيّن حدود هذا الفن، ويعنى فيه بإحلال الأغراض الصحيحة المختصة بالارتقاء الأدبي والاجتماعي المحل الأول وإنزالها المنزلة اللائقة بها، وان يبحث عن معرفة الطرق الموافقة لدرس التعليم»[2]، وللمعلم دور أساسي وفعال في العملية التعليمية، إذ يستطيع بخبراته وكفائته أن يحدد نوعية المادة الدراسية واتجاهاتها وتبسيطها لفكر المتعلم، ودور المعلم لا يقتصر في توصيل المعلومات المتعلم، ولكن العبرة هي إعداده للمستقبل إعدادا سليما، ولذلك لا بد أن توفر في المعلم شروط هي:

[1] محمد الطاهر بن عاشور: أليس الصبح بقريب، المصدر نفسه، ص15 بتصرف.
[2] المصدر نفسه، ص11.

-أن يكون متخصصا ملما بكل مفاهيم التدريس، ونظريات التعلم مستخدما طرائق استراتيجية تتلاءم وطبيعة المادة الدراسية.

- أن يتقمص المعلم دورا قياديا، فيوفر جوا للتعلم، يمكنه من إدارة نشاطات الحجرة الدراسية.

-كشف ميول واتجاهات المتعلم ومساعدته على تنمية قدراته، وذلك بتكوين علاقات اجتماعية تمنح الطالب القدرة على التعبير والتوضيح والاستمتاع، وذلك من خلال القدرة على التعرف على الكلمات التي تدل على فهم التلميذ أو عدم فهمه.

- البحث والاطلاع المستمر، مما يخلق القدرة على طرح الأسئلة وإتاحة الوقت للتفكير واحتمال تأجيل الإجابات، وبذلك يكتسب خبرة في إدراك الفروق بين الطلاب وتقدير سلوكهم.

ويحدد ابن عاشور واجبات الأساتذة يقول: «من أخص واجبات الأساتذة أن يكونوا قدوة لتلاميذهم، فمن الواجب أن يعرفوهم حب العلم والسعي لإصلاح أنفسهم وأمتهم وأن ينشئوهم على خلال المصابرة والشجاعة، والحرية والمروءة واحترام الحق والعدالة والعفاف وكرم الأخلاق، حتى يكونوا كلهم أعضاء نافعة عاملة، سواء منهم من بقي في صناعة العلم أو من انصرف إلى الأشغال الأخرى، وعساهم أن لا يكونوا بعداء عن هذا في مُقبل الزمان، فإن علماء الأمة زينتها في كل أوان»[1].

2- المتعلم:

يعد المتعلم محور العملية التعليمية، التي تتوجه إليه عملية التعليم لذلك فإن التعليمية تبدي عناية كبرى له، فتنظر إليه من خلال خصائصه المعرفية والوجدانية والفردية في تنشيط العملية التعليمية وتنظيمها، وتحديدها أهداف التعليم والمراد تحقيقها فيه، فضلا عن مراعاة هذه الخصائص في بناء المحتويات التعليمية، وتأليف الكتب واختيار الوسائل التعليمية وطرائق التعليم، يقول ابن عاشور: «ونحن نقتنع من اصلاح العقول الغضة بأن تطنّ على اسماعها الآراء الصائبة والعلوم المحققة، ولا نخشى في خلال ذلك من صرف أذهانهم عنها بصرف صارف، فإنّ لنور الحق سلطانا»[2]، إن تركيز ابن عاشور، على العقول الغضة واصلاحها تركيز له أسسه، ذلك أن هذه العقول لها خصائص تميزها، تجعلها مؤهلة للتعلم، ومع ذلك يجب أن تتوفر في كل متعلم صفات حتى يكون قادرا على أخذ أكبر قدر من عملية التعلم والشكل الموالي يوضح صفات المتعلم:

[1] محمد الطاهر بن عاشور: أليس الصبح بقريب، التعليم العربي الإسلامي، المصدر نفسه، ص 203.
[2] المصدر نفسه، ص 138 ، وتم ذكر هذا القول أيضا في كتاب مقاصد الشريعة الإسلامي، المصدر نفسه، ص52

الشكل 3- صفات المتعلم[1].[2].[3]

2- المحتوى التعليمي:

القرآن الكريم بكل ما جاء فيه محتوى تعليميا متكاملا متعدد المداخل ومختلف التخصصات؛ ذلك أن القرآن الكريم بمقاصده وتشريعاته ينص على التعليم عامة، قال تعالى: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ ﴿ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[4]، وقال أيضا: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾[5]ولم ينص القرآن الكريم على التعليم فقط، بل أنه نصّ على التعليم بما يُناسب حالة عصر المخاطبين، وفي آياته ما يحيل على ذلك قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[6] ، وقال أيضا: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[7]، وقال أيضا: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[8]، وقال أيضا ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[9] ، والآيات في هذا المجال كثيرة ومتعددة المعاني.

وقد اجتهد العلماء في تفسير آيات القرآن كمحتوى تعليمي وتبيين مقاصده وما قدمه ابن عاشور في تفسيره ومن خلال حديثه عن مقاصد القرآن الثمانية، [إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح، تهذيب الأخلاق، التشريع، سياسة الأمة، القصص وأخبار الأمم السالفة لتأسي بصالح أحوالهم، التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين المواعظ

[1] الاستعداد : يعد أهم عامل نفسي في عملية التعلم، ويمكن تعريفه بأنه مدى قابلية الفرد للتعلم، أو مدى قدرته على اكتساب سلوك أو مهارة معينة، إذ ما تهيأت له الظروف المناسبة.
[2] النضج: وجود الاستعداد يفرض نضج المتعلم نضجا عقليا، هو عملية نمو داخلية تشمل جميع جوانب الكائن الحي ويحدث بكيفية غير شعورية فهو حدث لا إرادي يوصل فعله بالقوة خارج إرادة الفرد ، ويمس هذا النضج الجوانب التالية: النمو العقلي، النمو الانفعالي، النمو المعرفي، النمو الاجتماعي.
[3] الدافع: والدافع في أبسط تعريفاته هو حالة داخلية مرتبطة بمشاعر الفرد، توجه نحو التخطيط للعمل، مهما يحقق مستوى محدد من التفوق يؤمن به الفرد ويعتقده.
[4] سورة العلق، الآيات 1-5
[5] سورة النساء، الآية 113
[6] سورة الجمعة، الآية 02
[7] سورة الكهف، الآية 66
[8] سورة القصص، الآية 14
[9] سورة البقرة، الآيات 30-31

والإنذار والتحذير والتبشير الاعجاز بالقرآن] حاول تفسيره في أكثر من كتاب يخص نظم التعليم والابعاد التربوية لمقاصد القرآن ومدى تأثيرها في العملية التعليمية.

والحقيقة أن ابن عاشور، مع تقديره لأهمية الإصلاح في نظم التعليم، وطرائق التدريس، وفي أحوال الأساتذة تأهيلا وتدريبا وضبطا لهم بتراتيب إدارية معلومة، إلا إنه لا يتردد في إعطاء الأولوية لإصلاح العلوم ذاتها، إصلاحا ينبغي أن ينعكس في التأليف المستخدمة لتدوينها وإشاعتها، ففي رأيه: «إذا كنا نرتقب من إصلاح التعليم وإصلاح المعلمين وطرق اختبارهم فإنّ التأليف - وهي المعلم الأول للتلميذ والمرشد للمدرس - أجدر بأن تعطى لفتة من الإصلاح، إذ هي الفاعل القوي في نفس التلميذ وعلى مرتبتها تكون نفوس التلامذة، ولو وازن الناس بين اصلاح التأليف وإصلاح المعلم لرأوا أنّ اصلاح التأليف يصل بنا إلى غرضنا، ولو نظرنا في عوائق التحصيل لاستدركنا ناقصا وأصلحنا مختلا، لما كان التلميذ يقرأ النحو وهو يختم المحلى، لا يُحسن ترجيح رأي، بلا استنباط حكم »[1].

وحجة ابن عاشور، في التركيز على التأليف أو الكتاب المدرسي أو المحتوى التعليمي، هي أنّ المعلم «مهما بلغ به الجمود لا يمكنه أن يحول بين الأفهام وما في التأليف ونحن نقتنع من اصلاح العقول الغضة بأن تطنّ على اسماعها الآراء الصائبة والعلوم المحققة، ولا نخشى في خلال ذلك من صرف أذهانهم عنها بصرف صارف، فإنّ لنور الحق سلطانا»[2] وإن لمقاصد القرآن قصصا وبلاغة وبيانا تنعش الفهم بالعبرة، وتحلي اللسان بالبيان، وتزيد المروءة بالقدرة على تدبيج اللغة وتطويعها بالنحو البلاغة، ولتزيد العقل اتزانا ورجحانا بالحكمة والمنطق، والقرآن الكريم دستور جامع لكل روافد العلوم فلا حصر لعلم دون آخر ولا مفاضلة الرافد عن غيره، وما المعرفة إلا جزء ضئيل من هذا الدستور الجامع.

[1] ابن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، المصدر نفسه، ص51.
[2] محمد الطاهر بن عاشور: أليس الصبح بقريب التعليم العربي الإسلامي، المصدر نفسه، ص138 ، وتم ذكره أيضا في كتاب مقاصد الشريعة الإسلامي، المصدر نفسه، ص52.

الشكل 4- مسار العملية التعليمية

فالسهم الازرق في المسننة التي تمثل المعلم، يتجه نحو المسئلة التي تمثل المحتوى التعليمي، وكذلك السهم الأخصر في المسننة التي تمثل المتعلم، يتجه نحو المسننة التي تمثل المحتوى التعليمي، وفي المقابل السهم الأصفر في المسننة التي تمثل المحتوى التعليمي يتجه نحو المتعلم، ونظام المسننات لا يعمل إلا بنظام التشابك الميكانيكي، ومن المستحيل أن تلتف مسننة من دون تناسب وتوافق درجات تسنينها وانفراجاتها لمسننة أخرى، فالمحتوى التعليمي إذا لم يناسب كلاً من المعلم والمتعلم فلن تتحرك العملية التعليمية، ذلك أنه على المعلم معرفة المحتوى التعليمي من خلال تخصصه الذي يناسب المادة المدروسة كي ستطيع إيصال المعرفة والفهم إلى أذهان المتعلمين، وعلى المتعلم متابعة المحتوى التعليمي كي يستطيع التدرج في المعرفة وفهمها وتطبيقها وترتيب تفاصيلها وتحليلها.

8- مقاصد القرآن الكريم والتعليم

ولحاجة المتعلم المسلم لمحتوى تعليمي يوافق عقيدته ومبادئ دينه، ركز ابن عاشور في مشروعه **"إصلاح التعليم"**، على إصلاح التأليف أو المحتوى التعليمي -من دون أن يُهمل المعلم والمتعلم - لكن تركيزه على إصلاح المحتوى التعليمي كان هدفه تعليم الناشئة بما يُناسب حالة عصرهم ومستوى عقولهم، وهو مقصد قرآني، وقف الكثير من العلماء أمام الآيات الدالة عليه، كما لم تغفله السنة الشريفة، ويرى ابن عاشور أن هناك أسبابا كثيرة تلزمنا بإصلاح التعليم منها: لأن التعليم يُدخل المتعلم في حالة اتزان ورضا عن النفس، وضبط السلوك والعقل، كما يخلق عنده الشغف، ورغبة الاكتشاف، والوصول إلى المراد، ثم أنه هو الذي يمكننا من استقامة أعمالنا»[1]، يقول ابن عاشور: «فنحن في الاحتياج إلى العلم بوجوه الأشغال، المراد من التعليم ليكون المتعلم بذلك راضيا عن نفسه، واثقا بحصول مبتغاه من عمله»[2] ويضيف ابن عاشور قائلا أن التعليم: « يفيد ترقية المدارك البشرية، وصقل الفطر الطيبة لإضاءة الإنسانية واظهارها في أجمل مظاهرها فيخرج صاحبها عن وصف الحيوانية»[3]، ولعل هذا القول يحيلنا إلى نقطة مهمة هي إعداد قادة للأمة، صالحين بصلاح إعدادهم، مؤهلون للقيادة والإرشاد، وقد كانت هذه الغاية هدفا للأنبياء والحكماء، لأن التعليم نور يضئ ظلام العقل، وسبيل سالك يوصل إلى طريق الهداية والرشاد، وهو الذي يبلغ بالأمة مقاصدها وأعلى درجات التطور والرقي، إلى مصاف الأمم المتحضرة، وبه تكتمل الحقيقة الإنسانية، وقد استنتج ابن عاشور، هذه الأسباب لإصلاح التعليم من استقراء

[1] حجية شيدخ: محمد الطاهر ابن عاشور وجهوده في إصلاح التعليم، مجلة الحقيقة، أدرار، الجزائر، العدد 42، 2018م، ص 85.
[2] محمد الطاهر بن عاشور: أليس الصبح بقريب، المصدر نفسه، ص 7.
[3] المصدر نفسه، ص 12.

التاريخ، واستنباط كيفية تأثير التعليم في الأمم عبر الأزمنة الماضية ومقارنة ذلك بالحاضر، حيث أصبح انحطاط التعليم سمة وسبب مباشر لانحطاط الأمة.

لذلك تتوقف على التعليم عند ابن عاشور، جميع الإصلاحات الأخرى، وذلك لأنّ الإسلام انفرد عن كل الأديان بإظهار فضل العلم والعلماء، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[1]، ويقول سبحانه: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]، وخير دليل على اهتمام الإسلام بالعلم وفضله، أن أول سورة نزلت من القرآن الكريم، تحث على القراءة وطلب العلم قال تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ﴿ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [3] ، كما يستشهد ابن عاشور، بأحاديث كثيرة تحث على العلم والتعلم وعدم كتمانه، ثم «إنّ اهتمام ابن عاشور بقضايا التعليم وفق ما يوافق مقاصد القرآن دليل حسي وملموس على إحساسه العميق بالفرد المسلم وغيرته على شخصيته التي تستمد أهم مقوماتها من الدين الإسلامي، (...) ، والمصدر الأساس الأول الذي يعتمد عليه ابن عاشور في إصلاح التعليم هو القرآن الكريم، ونلمس ذلك من خلال تنبيهه إلى أن خلافة الله -تبارك وتعالى- في الأرض تتطلب من الإنسان الانتباه إلى مسالك صلاحه فيها، وإصلاح التعليم من أهم هذه المسالك»[4].

ومن ثمة «أدرك الشيخ ابن عاشور من خلال ممارسته للتعليم متعلما ومعلما بجامع الزيتونة أنه بحاجة إلى إصلاح واسع النطاق على نحو يشمل جوانبه جميعا نظام التعليم ودرجاته ومواده والكتب المعتمدة في التدريس، والمدرسين من حيث تأهيلهم ومدى مناسبتهم لدرجات التعليم ومستويات الدارسين، وتدرج المعارف التي تدرس وتراتبها»[5]. فالتعليم نظام متكامل لا يقف عند مرتكز واحد، بل تتعدد المرتكزات التي يقوم عليها، وما صلاحه إلا صلاح للأمة جمعاء، لذلك حسم ابن عاشور مشروعه إصلاح "التعليم" بقوله: «فأما التعليم فإنه إن صلح عم به الصلاح، وإن كان فاسدا شقيت به الأمة كلها، وتذبذبت في معرفة مركزها وساءت اعتقادا في حالة جهلها»[6].

ومن خلال كل الذي سبق، كان اجتماع مقاصد القرآن بالتعليم، تقاطعا في مقصد رئيس يتمثل في **[التعليم بما يُناسب حالة عصر المُخاطبين]** تتفرع عنه ثلاث أبعادٍ مهمة هي **[البعد العلمي التعليمي، البعد الفني التعليمي، البعد العملي]** ويمكننا أن نلخصها في الشكل الآتي:

---

[1] سورة الزمر، الآية 9.
[2] سورة النحل الآية 43.
[3] سورة العلق، الآيات من 1-2.
[4] حجية شيدخ: محمد الطاهر ابن عاشور وجهوده في إصلاح التعليم، المرجع نفسه، ص86.
[5] ناجي فرج التكوري: ملامح الإصلاح التربوي في تفسير ابن عاشور، المرجع نفسه، ص 64.
[6] محمد الطاهر بن عاشور: أليس الصبح بقريب، المصدر نفسه، ص 12.

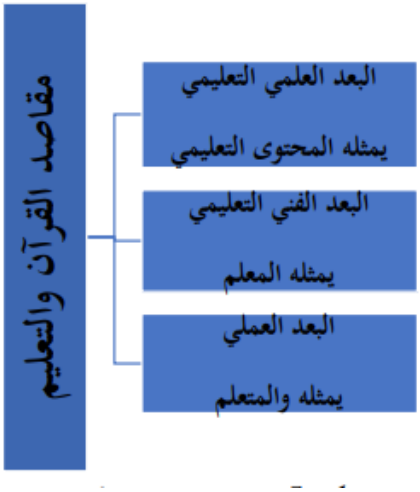

الشكل 5-علاقة مقاصد القرآن بالتعليم

نتائج الدراسة:

في نهاية هذه الورقة البحثية، سنجمل أهم النتائج التي توصلنا إليها في النقاط الآتية:

1 - المقاصد في اللغة والاصطلاح هي؛ المواضع والاتجاهات التي سطرت لها والأهداف المرجوة منها، أما مقاصد القرآن، فهي الأهداف الكبرى التي ساق الله عزّ وجل، النظم القرآني تبيانا لها.

2- يُجمل محمد الطاهر ابن عاشور مقاصد القرآن في كتابه تحرير التنوير، وتحديدا في المقدمة الرابعة في ثمانية مقاصد هي: [إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح، تهذيب الأخلاق، التشريع، سياسة الأمة، القصص وأخبارُ الأُمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم، **التعليم بما يُناسب حالة عصر المُخاطبين**، المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، الاعجاز بالقرآن] .

3- تنبثق عن مقاصد القرآن أبعاد تربوية وأبعاد شرعية، ولأن مجال الدراسة علاقة مقاصد القرآن بالتعليم اكتفينا بالأبعاد التربوية والتي تمثلت في: [البعد العقدي، البعد الأخلاقي السلوكي، البُعدُ العلمي التعليمي، البعد الفني التعليمي، البعد العملي]

4- ذكر ابن عاشور في نهاية المقدمة الرابعة علاقة مقاصد القرآن بالعلوم قاطبة ورتبها ترتيبا تنازليا من الأهم فالأهم؛ بدأها بالعلوم التي تضمنها القرآن، ثم العلوم التي تزيد المفسر علما إلى علمه، ثم العلوم التي جاء مؤيدة للقرآن الكريم تابعة له، في الأخير العلوم التي لا علاقة لها بالقرآن ومقاصده.

5- كان تأثير مقاصد القرآن في العملية التعليمية واضحا من خلال أبعادها والتقاطعات المتشابكة في كتابه "مقاصد الشريعة الإسلامية" ثم كتابه "أليس الصبح بقريب" وهما

امتداد لما جاء في التحرير والتنوير، وتجتمع مقاصد القرآن بالتعليم وتتقاطع في **البعد العلمي التعليمي البعد الفني التعليمي، البعد العملي]**

6- يعد القرآن الكريم منهجا تربويا كاملًا، ومحتوى تعليميا صالحاً لكل عصر وجيل، لذلك وجب العودة إليه لاستنباط ما فيه من مضامين تربوية وتوجيهات أخلاقية وتوظيفها بما يخدم مبادئ الدين، وخصوصية العلم والتعليم.

1- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع، دار المعرفة، دمشق، سوريا، طبعة 1434هـ.

- المصادر:

2- محمد الطاهر ابن عاشور : التحرير والتنوير من التفسير، الدار التونسية للنشر، تونس، الكتاب الأول، 1984م.

3- محمد الطاهر ابن عاشور : مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، الأردن، ط2، 1421-2001.

4- محمد الطاهر ابن عاشور : أليس الصبح بقريب التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إسلامية، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة القاهرة، مصر، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 1427هـ - 2006م.

-المراجع:

5- ابن القيم الجوزية: إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: أبو عبيدة بن حسين آل سلمان، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1423هـ.

6-البيهقي (أبي بكر أحمد بن الحسين شعب الإيمان؛ فصل في تعاليم القرآن، من تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1410هـ.

7 - الشاطبي (أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بم محمد اللخمي ت 790هـ) الموافقات تقديم : بكر بن عبد الله أبو زيد، ضبط نصه: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان دار ابن عفان، المجلد 1، 1997م.

8-البخاري (أبي عبد الله محمد بن اسماعيل): صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، سويا، بيروت، لبنان، ط1، 1423-2002.

9-بن عبد السلام (أبو محمد عز الدين عبد العزيز قواعد الاحكام في مصالح الأنام، دار الكتب الازهرية، القاهرة، مصر، 1414هـ - 1991م، ج1.

10 - افنان نظير دروزة: النظرية في التدريس وترجمتها دار الشروق للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ر، ط 1 ، م.

11- رمضان القذافي: نظريات التعلم والتعليم الدار العربية للكتاب، بيروت، لبنان، ط2، 1981م.

12- سهيلة محسن كاظم الفتلاوي مدخل إلى التدريس دار الشروق لنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2003م.

-المعاجم:

13- ابن منظور لسان العرب ت عبد الله علي الكبير محمد أحمد حسب الله هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1041هـ - 1981م، مادة (قصد).

14- ابن فارس أحمد بن زكريا أبو الحسين): مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، سوريا، المجلد 5، 1399هـ - 1979م، مادة (قصد).

- المجلات والدوريات

15-حجية شيدخ: محمد الطاهر ابن عاشور وجهوده في إصلاح التعليم، مجلة الحقيقة، أدرار، الجزائر، العدد 42، 2018.

16- ناجي فرج التكوري: ملامح الإصلاح التربوي في تفسير ابن عاشور، مجلة أصول الدين، الجامعة الأسمرية الإسلامية، ليبيا.

17-هيا ثامر مفتاح: مقاصد القرآن عند الشيخ ابن عاشور، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، العدد29-2011.

-المواقع الإلكترونية

18- معجم المعاني الجامع: مادة (مقصد)
https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar

19-محمد الطاهر بن عاشور https://ar.wikipedia.org/wiki/